بيلي كولينز

@ketab_n
11.12.2014

أوزّة الشتاء تنبحُ في السماء

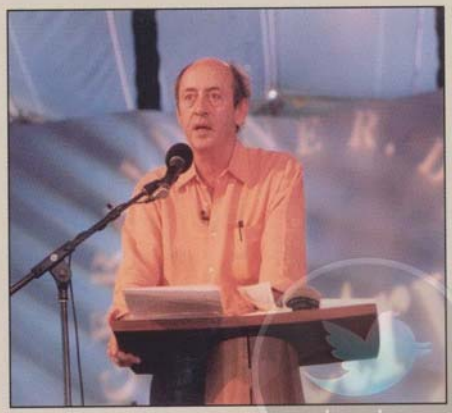

@ketab_n

اختارها وترجمها: سامر أبو هواش

بيلي كولينز

أوزّةُ الشتاءِ تنبحُ في السماء

اختارها وترجمها: سامر أبو هواش

منشورات الجمل

كلمة KALIMA

@ketab_n
Follow Me

Twitter: @ketab_n

بيلي كولينز، أوزّةُ الشتاءِ تنبحُ في السماء، شعر

Twitter: @ketab_n

بيلي كولينز: أوزّةُ الشتاءِ تنبحُ في السماء، شعر
اختارها وترجمها: سامر أبو هواش، الطبعة الأولى
كافة حقوق النشر والاقتباس باللغة العربية محفوظة للناشر
كلمة و منشورات الجمل، ٢٠٠٩
كلمة، ص.ب: ٢٣٨٠ أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٦٣١٤٤٦٨ ٢ ٩٧١ + ـ فاكس: ٦٣١٤٤٦٢ ٢ ٩٧١ +
www.kalima.ae
منشورات الجمل، ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٦٦٨١١٨ ٠١ (٠٠٩٦١)

Billy Collins:
Winter Geese Barking in the Sky
© Billy Collins

© *Al-Kamel Verlag* 2009
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

Twitter: @ketab_n

بيلي كولينز (١٩٤١-)

يجمع بيلي كولينز Billy Collins بين القدرة على كتابة الشعر الرفيع الذي يستمد قوته من تقاليد شعرية رفيعة في أمريكا وخارجها، وفي الوقت نفسه يلامس في شعره حساسيات وموضوعات تهمّ القارئ العادي، أيّ قارئ، مما يجعله واحداً من أكثر الشعراء شعبية، وأكثرهم احتراماً نقدياً على السواء، في الشعر الأمريكي الحديث. يكتب كولينز بلغة بسيطة، لا تتوخّى البلاغة اللغوية، بقدر ما تحرص على الإيحاء الشعري، بأكثر الأدوات التعبيرية تقشفاً، لكن دلالة في آن. غالباً ما تنطلق قصائد كولينز من أناه الشخصية، من عوالمه الخاصة، بيته، نمط عيشه، أفكاره وذكرياته وخيالاته، لكنها دائماً تنطلق إلى خارج أو إلى ما هو أبعد من هذه الأنا، وهنا بالتحديد قدرتها على مخاطبة الآخر، ومدّ جسور مشتركة مع العوالم التي يتمحور حولها شعره.

نجد في قصائد كولينز شيئاً من بساطة «الهايكو» الياباني واختزاله ووضوحه وإيحاءاته، بل موضوعيته وتصويريته، لكن هناك أيضاً الضربات الصغيرة الخفية، التي تخرج القصيدة من

Twitter: @ketab_n

الوصفي أو اليومي أو المباشر، إلى الأسئلة الكبرى، الفلسفية والوجودية، أي إلى رحاب الاستعارة الواسعة، وإن كان كولينز نفسه في عدد من القصائد يسخر من هذه الأسئلة نفسها، كما يسخر من كثير من الأشياء، بما فيها الشعر، وهذه النبرة الساخرة هي أيضاً من بين أسباب شعبية كولينز الواسعة.

يقول كولينز في إحدى مقابلاته الصحافية، حول تلك القدرة التي يملكها على اجتذاب القارئ (الأمر الذي جعله الأكثر مبيعاً بين شعراء أمريكا على الأقل) إنه «لدي وعي بالقارئ»، ويفنّد: «هنالك قارئ واحد في ذهني، شخص يتواجد معي في الغرفة، وأتحدث إليه، فأحرص على ألا أتكلم بسرعة شديدة أو بفصاحة شديدة. أحاول عادة خلق نبرة ودودة في بداية القصيدة، منطلقاً من العنوان إلى السطر الأول مثل القفز إلى قارب. هناك الكثير من الأشياء التي يمكن أن تذهب في غير الاتجاه الصحيح انطلاقاً من تلك النقطة».

ولد كولينز عام ١٩٤١ في نيويورك. مارس تدريس الأدب الإنجليزي في كلية «ليمان» في البرونكس، حيث بدأ ينشر شعره من نهاية السبعينات تقريباً في مطابع جامعية، وقد ظلّ يعتبر شاعراً في الظلّ حتى ما بعد بلوغه الخمسينات، حين بدأت دور نشر كبرى مثل «راندوم هاوس» بنشر أعماله. وهو الشاعر الأمريكي الوحيد الذي حصل مع دار نشر على صفقة تتجاوز المليون دولار.

نشر كولينز سبع مجموعات شعرية حتى الآن هي:

Twitter: @ketab_n

«بالستيات» (٢٠٠٨)، «المشكلة مع الشعر وقصائد أخرى» (٢٠٠٧)، «تسعة جياد» (٢٠٠٢)، «الإبحار وحيداً حول الغرفة» (٢٠٠١)، «نزهة، صاعقة» (١٩٩٨)، «فن الغرق» (١٩٩٥)، «التفاحة التي أذهلت باريس» (١٩٨٨).

كما ساهم في تحرير عدد كبير من المختارات الشعرية. بين عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٣ اختير لحمل لقب «شاعر أمريكا المتوّج» التي تعدّ تكريماً للشعراء المرموقين في أمريكا، والذين في الوقت عينه يتمتعون بالشعبية.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

من «التفاحة التي أذهلت باريس»

(١٩٨٨)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

مقدّمة للشعر

أطلب منهم أن يحملوا قصيدة
ويرفعوها عالياً في الضوء
كأنها شريحة تصويرية ملونة
أو أن يضعوا آذانهم على قفيرها.

أقول لهم أن يرموا فأراً في قصيدة
ويراقبونه وهو يبحث عن طريق للخروج منها،

أو أن يدخلوا إلى غرفة القصيدة
ويتحسّسوا جدرانها بحثاً عن زر الإضاءة.

Twitter: @ketab_n

أريدهم أن يتزلجوا
على سطح القصيدة
ملوّحين لاسم المؤلف على الشاطئ.

لكن كل ما يريدونه
ربط القصيدة إلى كرسيّ
وتعذيبها حتى تعترف.

يجلدونها بخرطوم
لكي يعرفوا ما الذي تعنيه حقاً.

Twitter: @ketab_n

بلاغة شتوية

تبدأ العبارة كمسافر وحيد
يشقّ طريقه في عاصفة ثلجية،
يتمايلُ في الريح، مغطياً وجهه بذراعه،
بينما يرفرف وراءه ذيل معطفه الهزيل.

ثمة طرق أسهل لاكتساب المعنى،
بلاغة الإيماءة على سبيل المثال.
أن تحتضن بيديك وجه فتاة مثلما تحمل إناء زهور.
أن تخرج مسدساً من حجيرة القفازات
وترميه من نافذة السيارة إلى رمال الصحراء الملتهبة.
لحظات رائعة كهذه يتوهّج فيها الصمت.

Twitter: @ketab_n

كذلك القمر المكتمل يشكّل معنى.
حين تعبره غيمة
يستعير بلاغة دراجة مستندة إلى جدار متجر
أو كلب ينام طوال بعد الظهر
على طرف الكنبة.

الأغصان العارية في الشتاء
ليست إلا شكلاً من الكتابة.
الجسد العاري سيرة ذاتية.
كلّ بحيرة لفظة، وكل جزيرة اسم.

لكنّ المسافر يصرّ على بؤسه،
يكابد طوال الليل في الثلج العميق،
مخلّفاً وراءه، على الهضاب والوديان البيضاء،
أبجدية باهتة من آثار الأقدام،
رسالة لفئران الحقول والغربان العابرة.

Twitter: @ketab_n

عند الفجر سيلمحُ الدخان عريشة
ترتفع من مدفئتك، وحين يقف مرتجفاً أمامك،
وقد كساه الجليد،
سترتسم ابتسامة على لحيته الثلجية،
وسيعبّر عندئذ عن فكرة كاملة.

Twitter: @ketab_n

أرق

بعد أن أنتهي من كلّ خراف العالم
أبدأ بتعداد الوحوش الضارية، والبزّاق،
الجمال، والقبّرات. . . إلخ.

ثم أتنقّل من بلد إلى بلد
ولا أوفّر حديقة حيوان
أو مربى مائي.

أغفو عند مطلع الفجر
في كابوس عن الغرق في الفيضان العظيم،
وأجدني أنادي من قلب المياه الصاعدة،
على نوح المشغول بشؤونه
بينما يمرّ بي فلكه العجيب ويبتعد في الأفق.

Twitter: @ketab_n

الآن يتحوّل المركب الأخير على الكوكب
مجردَ ظلّ صغير
ثمّ يبدأ بالاختفاء.

بينما تتقاذفني الأمواج،
أركّز على زوجين من الزراف
تبرز رقبتاهما من سطح المركب،
لكي لا أرى حياتي تومض أمام عينيّ.

بعد أن تختفي جميع الحيوانات
أطفو على ظهري مغمض العينين.
متخيلاً جميع أسماك العالم
تقفز تباعاً فوق سياج مائي
في سلسلة متتالية من الألوان.

Twitter: @ketab_n

عنواني

أيكون الموت الآن على بعد أميال من بيتي هذا؟
أتراه يزور أرملاً ما في «سنسيناتي»
أو يتنفّس على رقبة مسافر تائه
في كولومبيا البريطانية؟

أتراه منغمساً بترتيباته الخاصة،
يعبث بمكابح السيارات،
أو ينثر الخلايا السرطانية كالبذور،
أو يحلّ العوارض الخشبية في قطارات الملاهي،
بحيث لن يكترث بأمر كوخي البعيد،
الذي غالباً ما يجد الزوار صعوبة بالغة في الوصول إليه؟

Twitter: @ketab_n

أم أنه الآن يترجّل من سيارته السوداء
التي ركنها في نهاية الطريق،
ينفض عباءته المألوفة
التي يعلوها القناع كرأس غراب،
ويأتي بالمنجل من صندوق السيارة؟

هل واجهت أية مشكلة في العثور على العنوان؟
أقول له،
محاولاً بالكلام
الخروج من هذه الورطة.

Twitter: @ketab_n

نقطة التلاشي

«بتفاحة أريد أن أذهل باريس»

بول سيزان

كنت أحسبها مجرّد نقطة يخطّها بقلم الرصاص
تلاميذ الرسم في وسط اللوحة
قبل شروعهم في رسم الحظيرة والأبقار وأكوام القشّ،

أو مجرد نقطة تقاطع السكك الحديدية،
ذلك الموضع الذي يحدّق فيه المهندسون الميكانيكيون
من القاطرات
بينما يمضون هادرين في القفار الحارّة
خارجين من الأبعاد.

Twitter: @ketab_n

لكن ها أنا ذا عند نقطة التلاشي،
أنظر ورائي فأرى كل ما مضى يدنو مني:
الحظائر والأبقار، السكك الحديدية وأكوام القش،
المزارعون والأشغال...
أراها تتقلص ثم تتلاشى إلى نقطة
كأنما بفعل جاذبية أرضية أفقية.

إنني لاقط كرات يقف خلف مركز العالم ،
أو عالمٌ يراقب رشحاً بسيطاً في بنية الواقع.

أرى تاريخ العمارة يتقلّص إلى لا شيء
وجميع الخطوط المستقيمة تفترق عن نفسها
كرجال عالقين في النار.
كلّ النصب التذكارية منذ «فيدياس»[1]
تلتقي عند هذه النقطة.
تخيل نقطة يمكنها أن تبتلع
موسوعة كاملة.

---

(١) فيدياس: نحات إغريقي.

Twitter: @ketab_n

لقد بلغتُ سماء الهندسة
حيث كل خطّ في كل نظرية رياضية يتوق إلى الرحيل.
لكنّ نقاط التلاشي في الرسم تتلاشى هنا.
وإذا لم تصدقني
فانظر إلى اتجاه ظلال الزوايا المستقيمة
في مرأب بيتك.

أسمعتَ عن التفاحة التي أذهلت باريس؟
إنها أنف النملة التي استنشقت العالم.

Twitter: @ketab_n

عبور الأطلسي سيراً على الأقدام

أنتظر خلوّ الشاطئ من حشد عطلة نهاية الأسبوع
لكي أمضي إلى الموجة الأولى.

سرعان ما سأجدني عابراً الأطلسي
مفكّراً في إسبانيا،
متفقداً الحيتان والتيارات المائية.
أشعر المياه تحمل وزني المتنقّل.
والليلة أنام على سطحها الهزّاز.

أما الآن فأحاول أن أتخيل
كيف سترى الأسماك المشهد:
أخمص قدمّي
وهما
يبرزان ويختفيان ويبرزان. . .

Twitter: @ketab_n

عناق

تعرف حيلة الردهة:
لفّ ذراعيك حول جسدك
وسيبدو من الخلف
أن إحداهن تعانقك
يداها تشدان قميصك
وأناملها تداعب عنقك،
أما من الأمام فمسألة أخرى
بحياتك كلها لم تشعر بمثل هذه الوحدة
بمرفقيك المتصلبين ووجهك المذهول
تبدو منتظراً أن يأتي خياط ما
لكي يخيط على مقاسك سترة مجانين
يمكن أن تحتويك بشدّة.

Twitter: @ketab_n

الأزرق

خذوا مصر أو «نانتكت»[1].
فالمكان الوحيد الذي أريد زيارته هو الأزرق،
ليس الأزرق الوحشي الذي يغوي القباطنة،
لكن أرض اللامتوقّع تلك
التي أنتظر الخروج منها على شكل صواعق.

أريدُ السير في محيطه اللازوردي
حيث يقف غير المرتقب منتظراً إشارة الانطلاق
إلى منازل الأرض المرتقبة.

---

(١) نانتكت: جزيرة في المحيط الأطلسي

Twitter: @ketab_n

أريدُ أن أجوب الضوء النيلي الخفيف
متفحصاً كلّ الحوادث التي ستنفجر في الزمن،
كلّ الأسماء المنسية التي على وشك الطيران من الألسنة.

سأمعنُ النظر في جميع مفاجآت المستقبل
وأراقب عصف الأفكار يحتشد سراً،
متأهباً للانقضاض على رؤوس المخترعين
الذين يكابدون في أكواخهم الغريبة.

مسافر منهك يحمل جواز سفر لامرئي،
أجدني في منزلي في فردوس لا يدخل في حسبان
منتظراً الرحيل المفاجئ
حين، بلا إنذار مسبقاً، ولا أدنى نذير،
يهبط اللا متوقع إلى حيواتنا
من مكان يشبه السماء.

Twitter: @ketab_n

مدينة المدارس

في نظرة عجلى إلى الماضي
أدركُ أن عدد التلاميذ الذين علّمتهم
يقارب سكان مدينة صغيرة.

أتخيّلها في قلب منظر طبيعي من الأوراق،
يهبّ فيها غبار طبشوري في الشتاء،
ولياليها معتمة كلوح أسود.

يشيخ قاطنوها لكنهم لا يتخرّجون.
وفي الأصائل الحارة يتعرّقون الفحص النهائي في الحديقة.
وفي البرد يتحلّقون مرتجفين حول المدافئ
قارئين بصوت عال دراساتهم العشوائية.
وحين يقرع جرس الاستراحة يخرجون حاملين كراريسهم
ويمضون إلى المدينة في خطوط متعرّجة.

Twitter: @ketab_n

نسيتُ جميع أسمائهم الأخيرة أولاً
وأسمائهم الأولى أخيراً.
لكن الفتى الذي دائماً يرفع يده
عضو مجلس تشريعي يملك متجر خردوات.
والفتاة التي توقع على أوراق الفحص بأحمر الشفاه
تستند إلى جدار متجر أدوات التجميل، مدخنة،
ومفرشية شعرها كآلة.

علاماتهم خيطت في ثيابهم
مثل مراجع «هوثورن»[1].
المجتهدون يمشون معاً.
والكسالى يطلقون أبواقهم كلما صادفوا واحداً منهم.
أما تلاميذ الكتابة الإبداعية فيستلقون
في حديقة المحكمة عازفين على العود.
وأينما ذهبوا يتشكلون في دائرة كبيرة.

---

(١) ناتانييل هوثورن (١٨٠٤- ١٨٦٤): روائي وقاص أمريكي، صاحب رواية «الحرف القرمزي».

Twitter: @ketab_n

لا حاجة إلى القول إنني العمدة.
أعيش في منزل أبيض على تقاطع «مابل وماين».
نادراً ما أغادر المنزل.
عجلات سيارتي عند المدخل فرغت من الهواء.
والعرائش تلتف حول أرجوحة الشرفة.

من وقت لآخر يقرع تلميذٌ الباب
ليسلّمني بحثاً بعد خمسة عشر عاماً
أو ليطرح عليّ سؤالاً حول «ياتس»[1]،
أو ما إذا كان عليه ترك مسافة بين السطور.
وذات يوم حين يظهر أحدهم وراء النافذة
سيراني أحاضر لورق الجدران،
أمتحن الثريا،
وأوبّخ الهواء.

(١) وليم بتلر ياتس (١٨٦٥- ١٩٣٩): الشاعر الأيرلندي المعروف.

Twitter: @ketab_n

قيادة السيارات مع الحيوانات

بسلاسة تمضي سيارتي في الغابة ليلاً
بينما أحاول رصد بريق عيني غزال
يطوف جانب الطريق المعشوشب بحثاً عن الكلأ.

مستكيناً داخل سيارتي الدافئة
أسرع في اللامكان الغامض بين الأمكنة،
عملية حسابية في الفضاء والزمن
تمرّ ببطء في هذه الرحلة الطويلة المنفردة.
أغذي السرعة بالكاسيتات، أشعل السجائر،
أتفقد لوح العدادات المضاء بضوء خفيف
متفحصاً الحركة، الضغط، الحرارة، وسرعة دوران المحرّك.
لكن ليس من عقرب أحمر يشير إلى وجود الغزلان.

Twitter: @ketab_n

إذا ما أمعنت النظر كفاية في الليل
فسأهذي أشكالاً في كهوف الظلمة،
ليس فقط غزالاً يسترق النظر من بين الأشجار،
لكن حيوانات أخرى غريبة: «البيسون»، حمار الوحش،
وحتى الأسماك التي تطفو في بحيرات الضباب الحالمة.

حيوانات فرّت من حديقة العقل العميقة،
حيوانات نحسب أننا نراها في الغيوم العابرة
وفي الخطوط الموصولة بين الكواكب.
حيوانات تتنزه في خضرة عدن،
حيوانات في صفحات الحكايات.
ودائماً غزال يخرج من الغابة،
مجتازاً كالمذهول الطريق المخطّطة،
عالقاً في قفزات مميتة بين وهج مصابيح السيارات.

Twitter: @ketab_n

وفي صمت الداخل بينما يبرد محرّك السيارة أمام البيت،
سأستشعر هذه الإيقاعات،
سأرى رؤوس الغزلان في مخدعي المظلم،
وسأرى ومض ذيل مسرع في مرآة النضد.
سأحلم باللمسة الرائعة لفراء الظبي
وأغفو يهدهدني قرن وعل.

Twitter: @ketab_n

سبب آخر لعدم احتفاظي ببندقية في البيت

لن يكفّ كلب الجيران عن النباح.
كل يوم، حين يغادرون المنزل،
ينبح بالصوت الإيقاعي المرتفع نفسه.
وأسأل نفسي: لم لا يطفئوه في طريقهم إلى الخارج.

ولن يكفّ عن النباح.
أقفلُ جميع النوافذ
وأضع سيمفونية لبيتهوفن بأعلى صوت
لكن نباحه يظلّ مكتوماً تحت الموسيقى،
ينبح، ينبح، ينبح،

Twitter: @ketab_n

والآن أتخيله جالساً بين الأوركسترا،
رافعاً رأسه بكل ثقة
كأن بتهوفن ضمّن سيمفونيته مقطعاً لكلب نابح.

حين تنتهي الأسطوانة أخيراً أجده ما زال ينبح،
جالساً هناك في مقطع المزمار ،
عيناه ثابتتان على قائد الأوركسترا
الذي يتوسّل إليه بعصاه

بينما العازفون الآخرون يصغون بصمت واحترام
إلى عزف الكلب الشهير المنفرد،
ذلك المقطع الختامي
الذي رسّخ شهرة بتهوفن كمبدع عبقري.

Twitter: @ketab_n

الدرس

في الصباح،
حين وجدت التاريخ
يشخر بعمق على الكنبة،
أخذت معطفه عن العلاّقة
وألقيته على كتفيّ
لكي يحميني من البرد
في طريقي إلى القرية لإحضار الحليب والصحيفة،
وتخيّلت أنه لن يمانع في ذلك،
خصوصاً بعد حديثنا الطويل ليلة البارحة.

كم فاجأتني ثورةِ غضبه
حين عدت إلى البيت مغطى بالجليد،

Twitter: @ketab_n

وتلك الطريقة التي نبّش فيها الجيوب الضخمة
ليتأكد من أنه لم تسقط منها أي معركة كبرى
ولم تغرق أي ملكة إنجليزية
في الثلج العميق.

Twitter: @ketab_n

من «فن الغرق» (١٩٩٥)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الحلم الأول

تجوس الريحُ البيت كشبح في هذه الليلة
وبينما أتلكّأ على باب النوم
أفكّر بأول شخص رأى حلماً،
وكم لابدّ كان بالغ الهدوء في الصباح التالي
بينما وقف الآخرون حول النار
متدثّرين بجلود الحيوانات،
متكلمين إلى بعضهم بعضاً بالحروف اللينة
إذ كان هذا قبل زمن طويل من اختراع الحروف الساكنة.

ربما ذهب بمفرده
وجلس على صخرة
وراح يتأمل الضباب على صفحة بحيرة

Twitter: @ketab_n

بينما يحاول أن يخبر نفسه بما جرى،
كيف أنه ذهب إلى مكان ما من دون أن يذهب حقاً،
كيف خنق بذراعيه وحشاً مفترساً لا يقترب منه الآخرون
إلا بعد قتله بالحجارة،
وكيف أحسّ بأنفاسه على رقبته العارية.

ثم من جهة أخرى،
قد يكون الحلم راود امرأة،
وإن كنت أفترض
أنها ستتصرف بالطريقة نفسها.
ستذهب بمفردها إلى جوار الماء،
سوى أن تقوّس كتفيها الفتيين
وميلان رأسها المطرق
سيجعلها تبدو وحيدة بصورة مروعة
وإذا كنتَ هناك لتشهد ذلك،
فلربما ستكون أول شخص
يقع في غرام حزن شخص آخر.

Twitter: @ketab_n

لوحة

على جدار حجرة الطعام سمكة بنية
تسبح على امتداد الإطار المعلّق
بينما نتناول العشاء.

تطوف على ضوء الشمعة كأنما لنراها جميعاً
وكأنها تطوف هناك منذ الأبد
حتى في عتمة الحبر
قبل أن يفكّر أحدهم برسمها
حين كان القصب الرفيع يتمايل في طريقها
والحصوات البيضاء تحفّ بالرمل.

Twitter: @ketab_n

لا عجب أنها تستمر في السباحة طوال الليل
بعد أن نكون قد أطفأنا الشموع
وأوينا إلى النوم.
لا عجب أنني أجدها في ضوء الفجر الشاحب
ما زالت تسبح، شاخصة نحوي،
بعينها الصغيرة الوحيدة.

Twitter: @ketab_n

تحوّل

أحبّ أن أمضي هذا اليوم على سفح جبل،
مصغياً إلى حكاية ما عن حَمل ضائع
أو عن كرمة ألمّ بها الفساد.

لأشهر عدة ستكون هذه القصة رفيقتي الوحيدة،
وكلما سردتها على نفسي
ازدادت الأمور وضوحاً في رأسي.

ثم أنزع خوذة أفكاري
وأطوف الشوارع
كاشفاً الفطر البني الناعم في رأسي الجديد.

Twitter: @ketab_n

ثم أروح أكرر الحكاية نفسها لمجموعات صغيرة من الرجال،
مستعيناً بعود خشب أرسم به الأشكال التوضيحية على الرمل.
قبل أن أتركهم يتمتمون في دوائر.

وفي آخر الليل حين تعثر الريح الباردة
على الشقوق في جدران بيتي
وتهزّ ذؤابة الشمعة بجوار سريري

أسمع لسان الشمعة يروي لي الحكاية
وأرى ظلال نفسي السابقة
تترقرق على جدران الغرفة وسقفها الخفيض.

Twitter: @ketab_n

مؤاساة

كم رائع أنني في هذا الصيف،
لا أطوف مدن إيطاليا وقراها الجبلية الحارة.
كم رائع أنني في طرقات مدينتي المألوفة
مدركاً بالكامل معنى كل إشارة طريق ولوحة إعلانية
وكل التلويحات المفاجئة لأشخاص أعرفهم.

ليس من أديرة هنا،
ولا رسوم جصّية متفتتة ولا أضرحة شهيرة
ولا حاجة إلى حفظ أسماء سلالات الملوك
أو التنقّل بين زوايا قبو يرشح ماء.
لا حاجة إلى الوقوف حول ناووس،
ولا مشاهدة سرير نابليون الصغير في «إلبا»،
أو عظام قدّيس ما تحت الزجاج.

Twitter: @ketab_n

كم أجمل أن أقف على مشارف مدينتي المتواضعة
بدلاً من أن تقزّمني قنطرة عملاقة أو بازيليك.
لماذا أدفن رأسي في كتب العبارات والخرائط المتجعدة؟
لماذا أطعم المناظر لكاميرا أحادية العين
متلهفة لالتهام العالم لحظة بلحظة؟

بدلاً من الجلوس في مقهى أجهل فيه
كيف أقول: «مكعبات الثلج»،
سأمضي إلى مقهاي المحلي
وإلى النادلة التي يناديها الجميع باسم «دوت».
سأتزلج على بحر صحيفة الصباح،
حيث تسقط جميع حواجز اللغة،
وتتدفق أنهر الكلمات بكل سلاسة،
بينما أنتظر طبق البيض.

Twitter: @ketab_n

وبعد الإفطار لن أضطر إلى إيجاد شخص
يقبل أن يصوّرني وأنا أحيط صاحب المكان بذراعي.
لن أقف حائراً أمام الفاتورة أو أسجّل في دفتر يوميات
ماذا عليّ أن آكل
وكيف دخلت الشمس من النافذة.

يكفي أن أعود إلى سيارتي
كأنها سيارة اللغة الإنجليزية العظيمة نفسها
وأطلق بوقي العاميّ المزعج،
وأمضي في درب
لا يؤدي قطعاً إلى روما،
ولا حتى إلى بولونيا.

Twitter: @ketab_n

الأيام

كلّ يوم هو هدية،
توضع بطريقة غامضة في يدك المستيقظة
أو على جبينك قبل أن تفتح عينيك.

هذا اليوم يبدأ بارداً وضّاء،
الأرض مثقلة بالثلوج والصقيع،
والشمس تلمع من أبراج الغيوم.
من خلال عين النافذة الهادئة
يبدو كلّ شيء في مكانه
لكن بحذر شديد قد يكون هذا اليوم
يتكئ بطريقة ما على اليوم الذي قبله،

Twitter: @ketab_n

جميع الأيام الماضية ترتفع فوق بعضها البعض
مثل برج الأطباق المستحيل
الذي ينشئه لاعبو السيرك،
لا عجب أنك تجد نفسك
واقفاً في أعلى سلّم طويل
آملاً أن تضيف يوماً آخر.

فقط يوم أربعاء آخر، تقول همساً،
ثم تحبس أنفاسك،
وبحذر شديد
تضع كوب اليوم
على طبق الأمس.

Twitter: @ketab_n

حول بلوغ العاشرة

مجرد التفكير بها يشعرني بالانهيار
تحت وطأة ما هو أشدّ إيلاماً
من وجع المعدة
أو الصداع المتأتي من القراءة في إضاءة سيئة،
نوع من الحصبة التي تصيب القلب،
من النكاف الذي يصيب النفس
والجدري الذي يصيب الروح.

تقولين لي إنه من المبكر النظر إلى الوراء،
لكن هذا لأنك نسيتِ البساطة المطلقة
في أن تكون حياة المرء
ما زالت مكوّنة من رقم واحد
وذلك التعقيد الرائع حين يبلغ الرقم الثاني.

Twitter: @ketab_n

لكن يسعني الاستلقاء على السرير
وتذكّر كل رقم:
في الرابعة كنت ساحراً عربياً
يملك القدرة على الاختفاء
بمجرّد شرب كأس الحليب بطريقة معينة.
في السابعة كنتُ جندياً،
وفي التاسعة أميراً.

لكنني غالباً ما أمضي وقتي الآن
واقفاً وراء النافذة
متأملاً ضوء بعد الظهر.
في ذلك الوقت
لم يكن الضوء يسقط موحشاً إلى هذا الحدّ
على جانب عرزالي،
ولا كانت دراجتي الهوائية
تستند البتة إلى باب المرأب
مثلما تفعل اليوم،
وقد جفّت منها الزرقة كلها.

Twitter: @ketab_n

هذه بداية الحزن، أقول لنفسي،
وأجوب الكون بحذائي الرياضي.
آن أوان أن أقول الوداع لأصدقائي المتخيلين،
أن أدخل إلى الرقم الكبير الأول.

يبدو أنه كان بالأمس فقط
حين كنت أصدّق
أنه لا يوجد تحت جلدي سوى الضوء،
فإذا ما جُرحت سيتدفّق مني الشعاع.
لكنني الآن أتعثّر على أرصفة الحياة،
أجرح ركبتيّ.
أنزف.

Twitter: @ketab_n

رسم

أرشّ قليلاً من الملح على الطاولة
وأخطّط بإصبعي دائرة.
«هذه دائرة الحياة»
أقول مخاطباً لا أحد.
هذه عجلة الحظ،
دائرة القطب الشمالي.
هذه خاتم «كيري»
وزهرة «ترالي» البيضاء
أقول لأشباح عائلتي،
الأسلاف الموتى،
العمة التي غرقت،
إخوتي وأخواتي الذين لم يولدوا،
طفلي الذي لم يولد أيضاً.

Twitter: @ketab_n

هذه الشمس الساطعة
والقمر المرير.
هذه دائرة الهندسة المطلقة
أقول لصدع في الجدار،
للطيور التي تعبر بالنافذة.
هذه العجلة التي اخترعتها تواً
لكي تدور لبقية حياتي
أقول،
متذوقاً طعم الملح
على أصابعي.

Twitter: @ketab_n

نادِ ليلي

«أنت رائعة جداً وأنا أحمق
لأني أحبك»،
ثيمة تتكرّر في الأغاني والقصائد.
يبدو أنه لا مجال للتنويع.
لم أسمع أحداً يقول:
«أنا رائع جداً
وأنت بلهاء لحبّك لي»،
رغم أن أن هذه الفكرة خطرت بكل تأكيد
للرجال والنساء على السواء.
«كم أنت رائع، لكن من المؤسف أنك أبله»،
صيغة أخرى لا نسمعها عادة.
أو: «أنت أبله بما أنك تعتبرني بهذه الروعة».
من المؤكد أننا لن نسمع يوماً هذه الصيغة.

Twitter: @ketab_n

أستمع بعد ظهر هذا اليوم
وبلا سبب محدّد إلى «جوني هارتمان»[1]
الذي بإمكان صوته الداكن أن يلامس
مشاعر الحب والجمال والحماقة
كما لا يستطيع أي موسيقيّ آخر.
يبدو دخاناً يرتفع متعرجاً
من سيجارة تركها أحدهم على بيانو صغير
عند الثالثة فجراً؛
دخان يرتفع إلى الضوء المتوهّج
بينما في عتمة المكان
بعض الحمقى الرائعين
يستمعون إلى الموسيقى،
بعضهم مغمض العينين،
بعضهم الآخر مائل إلى الأمام،
كأنما الموسيقى تسنده،
أو يحرك مكعّب ثلج في كأسه،
متسللاً بالتدرّج إلى حلم إيقاعي.

---

(١) جوني هارتمان (١٩٢٣- ١٩٨٣): مغني جاز أمريكي معروف، اشتهر بغنائه مع العازف الأسطوري جوني كولتراين.

Twitter: @ketab_n

أجل، كلّ هذا الجمال الأحمق،
يولد بعد منتصف الليل،
ولا يرغب في الذهاب إلى البيت،
خصوصاً الآن عندما الجميع
يشاهد الرجل الضخم وساكسفونه
الذي يتدلّى من رقبته كسمكة ذهبية.
يقترب من حافة المنصة
ويناولني الآلة
ويهزّ رأسه قائلاً إنني يجب أن أعزف.
فأضع الساكسفون على شفتي
وأنفخ فيه أنفاسي الحية.
إننا جميعاً حمقى،
يبدأ عزفي المنفرد بالقول،
كم أننا حمقى
بحيث صرنا رائعين
في غفلة منا.

Twitter: @ketab_n

فن الغرق

لا أعرف متى بدأ هذا كله، كلّ ما يقال
عن رؤية حياتك تومض أمام عينيك بينما تغرق
كأنما الرعب، أو فعل الغرق نفسه،
يمكنه إيقاف الزمن، وتكثيفه على هذا النحو،
واستحضار سني حياتك في لحظاتك الأخيرة اليائسة.

بعد أن تسقط عن سفينة بخارية
أو بعد أن يجرفك فيضان ما،
ألن تأمل بمراجعة أكثر ترفاً،
ألن تحلم بيد مرئية تقلّب صفحات ألبوم صور فوتوغرافية
تبدو فيها مزهواً على صهوة فرس
أو نافخاً الشموع تحت قبعة مخروطية الشكل.

Twitter: @ketab_n

ماذا عن فيلم متحرك قصير، عن عرض «سلايدات»؟
أن ترى حياتك في مقالة أو في صورة نموذجية واحدة؟
ألن يكون أيّ شكل أفضل من هذا الومض المفاجئ؟
أن ينفجر وجودك كله في وجهك
في لمح من السيرة
لا تشبه البتة المجلدات الثلاثة التي كنت تتخيّلها؟

يرغب الناجون في جعلنا نصدق أن ثمة روعة ما هنا،
بعض الحقيقة الصاعقة التي تخترق الماء،
ضوء مطلق يسبق انطفاء جميع الأضواء،
يسطع هائلاً في وجهك.
لكن إذا كان ثمة ما سيومض أمام عينيك
بينما تغرق، فسيكون سمكة على الأرجح،
لطخة سريعة من الفضي الملتوي تبتعد،
لا علاقة لها بحياتك أو موتك.
سيجرفك التيار، أو ستبتلعك البحيرة

Twitter: @ketab_n

بينما تغرق نحو فوضى القاع المعشوشبة،
تاركاً وراءك شيئاً قد نسيته أصلاً:
سطح الماء،
الذي الآن تجتاحه الغيوم الراحلة.

Twitter: @ketab_n

أسألك

أيّ مشهد أحب أن أجد نفسي فيه
سوى هذا المشهد،
ليلة اعتيادية على طاولة المطبخ،
حيث ورق الجدران المزين بالزهور،
وحيث الخزائن البيضاء مليئة بالزجاج،
والهاتف صامت،
وأحمل في يدي قلماً؟

يمنحني هذا وقتاً للتفكير
بكل ما يحدث في الخارج
ورق الشجر المجتشد في الزوايا،
الطحالب التي تكسو بخضرتها الظهيرة الرمادية العالية،

Twitter: @ketab_n

بينما فوق كثبان الرمل يبحر العالم،
ضخماً كمحيط
يرغي التاريخ ويزبد في صحوه.

لكنني لا أحتاج إلى أكثر من هذه الطاولة،
ولا حتى إلى وظيفة تسمح لي بالتجذيف إلى العمل،
أو سيارة «أستون مارتن» بلون القهوة،
ذات مقاعد جلدية خضراء متشققة.

لا، كل شيء هنا:
أشكال بيضاوية في كأس ماء،
قفص برتقال صغير، كتاب عن ستالين،
دون ذكر الأسماك المتشابكة الغريبة
على لوحة في الجدار،
والطريقة التي تغني بها هذه الشموع معاً
بانسجام تام.

Twitter: @ketab_n

لذا سامحيني
إذا ما أطرقتُ رأسي الآن وأصخت السمع
إلى الشمعة القصيرة وهي تغني غناء منفرداً
بينما يعزف قلبي تحت قميصي،
مثل ضفدع على ضفة بحيرة،
وتحلّق أفكاري إلى عالم
مصنوع من سماء هائلة
ونحو مليون غصن عار.

Twitter: @ketab_n

عزيزي القارئ

يعتبرك «بودلير» أخاه،
ويناديك «فيلدنغ» كل بضع فقرات
كأنما ليتأكد من أنك لم ترحل،
وها أنا أستدعيك ثانية،
أيها الشبح المتيقّظ، أيها الوجه الصامت
الواقف على باب هذه الكلمات.

«بوب» يرحب بك في وهج مكتبته،
يأخذ كتاب «أوفيد» جلدي سميك لكي يريك،
«تنيسون» يفتح الباب على حديقة محاطة بخندق مائي،
ومع «ياتس» تستند إلى شجرة كمثرى مقصوفة،
في يوم خفيض الغيوم.

Twitter: @ketab_n

لكنك الآن معي،
رابط الجأش على حقل هذه الصفحة المفتوح،
لا غرفة ولا حديقة مشّذّبة تحيط بنا،
لا «روح عصر» تتقدّم في الخلفية،
ولا «روح شعب» تُطرح علينا مثل العباءة.

بدلاً من ذلك فإن لقاءنا وجيز وعابر،
لا تلاحظه عين التاريخ الزجاجية،
قد تكون الرجل الذي أمسكت له الباب
هذا الصباح في المصرف أو مكتب البريد
أو ذاك الذي باعني السمكة المرقّطة.
قد تكون أحد السابلة الذين صادفتهم في الشارع
أو الوجه وراء مقود سيارة مقبلة في اتجاهي:

Twitter: @ketab_n

الضوء يلمع على زجاج سيارتك الأمامي
وحين أنظر إلى المرآة الصغيرة في الأعلى،
أراك تضمحل - يا صداي ويا توأمي -
ثم تختفي في منعطف شارع
ليس في إمكاننا
أن نسلكه معاً.

Twitter: @ketab_n

صمت

ثمة الصمت المفاجئ لجمهور شاخص
نحو لاعب متجمّد في الملعب.
وثمة صمت زهرة الأوركيد.

صمت مزهرية في أثناء سقوطها
وقبل ارتطامها بالأرض،
صمت الحزام حين لا يسوط الطفل.

سكون الكوب والماء في داخله،
صمت القمر،
وهدوء النهار بعيداً عن صخب الشمس.

Twitter: @ketab_n

الصمت حين أعانقك،
صمت النافذة فوقنا،
والصمت حين تنهضين وتمشين مبتعدة.

وثمة صمت هذا الصباح
الذي كسرت فيه قلمي،
صمت تكوّم طوال الليل
مثل ثلج يهطل في عتمة المنزل.

الصمت قبل أن أكتب أيّ كلمة
وصمت هذه اللحظات الأشدّ فقراً.

Twitter: @ketab_n

العبقريّ

يقف برداء الحمام أمام الموقد
محركاً الحساء بملعقة خشبية طويلة.
بعد ظهر اليوم
كان منشغلاً بهوامش كتاب ضخم
والليلة سيقوم بنزهة
في حديقة الرياضيات،
أما الآن فلا يوجد سوى الحساء،
تحريك المعلقة،
الدوران السهل للمعصم،
وضوع البصل وعشبة إكليل الجبل
لحظة تشبه اللحظات التي يتفجّر فيها
عصف الأفكار.
ليس حين تكون مستغرقاً

Twitter: @ketab_n

تحت مصباح مكتبتك
لكن حين تكون بعيداً في الغابات،
أو تضيف حجراً إلى جدار،
أو تغسل كوباً في المغسلة،
ترفع رأسك وترى غيمة عند النافذة،
وعندئذ لا يكون سواك،
والنافذة المبللة،
وتلك الغيمة
التي تتخذ ببطء
شكل فكرة مذهلة.

Twitter: @ketab_n

السيجارة الأروع

كثيرة هي السجائر التي أفتقدها
منذ أن رميت، ذات ليلة قبل سنوات،
آخر واحدة من نافذة السيارة.

في الطليعة طبعاً
تأتي سيجارة ما بعد الجنس،
الطرفان الوامضان
وقد أصبحا أنوار سفينة واحدة؛
بعد عشاء طويل
مع وعد بمزيد من النبيذ
ودوائر من الدخان ترتفع إلى السقف،
أو على شاطئ أبيض
يحث تستريح السيجارة بين الأنامل المبللة.

Twitter: @ketab_n

كم هي حلوة مُرّة تلك التجسيدات
للشعلة والإيماءة؛
لكن أروع السجائر كانت في الصباحات
التي أكون فيها منغمساً
بالعمل على الآلة الكاتبة،
الشمس ناصعة على النوافذ،
مع القليل من موسيقى «برليوز» ربما في الخلفية
أذهب إلى المطبخ لأعدّ بعض القهوة
وفي طريق عودتي إلى الصفحة،
الملوية في بكرة الطابعة،
أشعل سيجارة وأشعر
بلهيبها الجاف يختلط مع طعم القهوة القاتم.

ثم أصبح قاطرة ذاتي
وأهرع خلفي بينما أعود إلى الكتابة
نفخات قليلة من الدخان،
الدلائل على التقدّم،

Twitter: @ketab_n

وعلى العصر الصناعي والفكر،
الإشارة التي أخبرت القرن التاسع عشر
بأنه يمضي قدماً.
تلك كانت السيجارة الأروع
حين كنت أستطيع المضي كقارب بخاري في مكتبي
مليئاً بالأمل البخاري
وأقف هناك،
رأسي مضاء كمصباح
فوق الكلمات المرصوفة
في خطوط متوازية.

Twitter: @ketab_n

قاموس المترادفات

قد يكون اسم وحش ما قبل تاريخي
جاب الأرض في الحقبة «الباليزية»،
واقفاً على قائمتيه الخلفيتين
مزهواً بمفرداته الهائلة،
وقد يكون اسم عاشق في خرافة ما
مُسخ إلى كتاب.

يعني «الكنز»، لكنه مجرد مكان
تجتمع فيه الكلمات مع أنسبائها،
حديقة كبيرة تحتشد فيها مئات العائلات:
بيت، منزل، مسكن، دار،
كلها تتشارك سلة النزهة نفسها والترموس؛

Twitter: @ketab_n

أشعَر، أهلب، صوفي، فروي، وبري أو أشعث:
تلعب معاً سباق الأكياس أو ترمي حدوات الجياد،
ساكن، ثابت، جامد، راكد، هامد:
تقف وتنحني في صف واحد أمام صورة جماعية.

هنا «الأب» بجانب «الوالد»،
و«الأخ» قرب «الشقيق»،
لا تفصل بينهما إلا ظلال المعنى.
وكل مجموعة لها أبناء عمومتها،
أولئك الذين قطعوا المسافة الأطول حتى يصلوا إلى هنا:
«عمه التجسيم»، «العطاش»،
أو بديل لا يلفظ من أحد عشر حرفاً، لكلمة «أداة».
حتى أنسباء هذه الكلمات تصاب عيونهم بالحول
وهم ينظرون إلى البطاقات التي تحمل أسماءها.

Twitter: @ketab_n

أستطيع رؤية نسختي من «قاموس المترادفات»
على رف عال.
بالكاد أفتحها، لأنني أعرف
أنه ليس من شيء اسمه المترادفات
ولأنني أتوتّر من أولئك الذين يجتمعون دائماً مع أشباههم
مشكّلين أندية وإشارات يدقونها على أبواب الخزائن
بينما يحتشد الآخرون وحيدين في الشوارع المعتمة.
أفضل أن أرى كلمات تمضي في طريقها الخاص،
بعيداً من عائلاتها ومن مستودع «روجيت»[1]،
طائفين العالم حيث أحياناً يقعون
في غرام كلمة مختلفة تماماً.
بالتأكيد رأيت أزواجاً منها تقف إلى الأبد
بجوار بعضها على السطر نفسه من قصيدة،
كنيسة صغيرة يمكن أن تتمّ فيها زواجات كهذه
بين غرباء بالكامل.

---

(١) بيتر مارك روجيت (١٧٧٩-١٨٦٩): عالم لغة إنجليزي، مؤلف أحد قواميس المترادفات.

Twitter: @ketab_n

على فراش الموت

كان القدماء يحبون الثرثرة على فراش الموت،
كان هناك الكثير من الجهات التي تنبغي مخاطبتها:
آلهة الرحيل التي تتحكّم ببوابات العالم السبع،
المراكبيّون المنكبّون على مجاذيفهم السوداء،
ربابنة الأبدية، قاطعو تذاكر الفناء،
هذا إذا اقتصر التعداد على وسائل النقل.

كان الرهبان اليابانيون يطلبون أحياناً لوح كتابة
ودواة وفرشاة لإنجاز ضربات كافية،
لكي يخلّفوا وراءهم قصيدة قصيرة
مثل قطرة مطر على ورقة عشب صفراء.
أحدهم وصف الغيوم الليلية
والقمر وهو يقطع رحلة المليون ميل.

Twitter: @ketab_n

أما مسيحيو العصور الوسطى المثقفون
فكانوا يقرأون أبحاثاً عن الموضوع: De Arte Moriendi
حول فن الموت، صفحات مليئة بالتعليمات
حول ما ينبغي على المرء فعله في الفراش،
وكيف يعدّ قلبه بصورة صحيحة
وكيف يوجّه روحه إلى الأعلى
ويصغي إلى صلاة أنفاسه.

وكان بعض الفيكتوريين ممتقعي الوجوه
بسبب آلام السلّ المبرحة،
يطلبون مرآة لكي يروا الوهج السيرافيمي
الذي ترسمه الحمى الجافة على وجوههم.
بعضهم كان يستدعي حتى مصوراً
يجهّز منصبه في حجرة التمريض
ويختفي تحت قطعة قماش ثقيلة،
مثلما يفعل إلى هذا الحدّ أو ذاك
موضوع الصورة نفسه.

Twitter: @ketab_n

ثم هناك الحكماء،
الذين يستغلّون أنفاسهم الأخيرة
لكي يلفظوا عبارة،
كأنما العالم ببساطة رواق محتشد بالناس
وقد آن الأوان لطرح وشاح طويل ومغادرة المكان،
تاركين مهمة إقفال الباب لشخص آخر.

بعضهم يستلقي لشهور على ظهره،
متأملاً السقف،
بعضهم الآخر يتقلّب مرة ويرحل.
بعضهم يصرخ مطالباً بكاهن
ويدلي بالاعتراف الوحيد الذي يعرفه الجميع.
وأنت، وأنا أيضاً، قد نضطجع على أسرّة موتنا،
محاطين بالعائلة،
أو تمسك ممرضة ليلية يدنا في الظلام،
أو وحدنا.

Twitter: @ketab_n

لن يكون هناك حبر،
ولا مرآة ولا كتاب لاتيني،
مع أن ورق الجدران قد يكون سيئاً
وقد تشعر نفسك تدخل إلى خرافة.

أرجو وجود نافذة،
المكان الاعتيادي،
وسماء صافية،
أو غيوم عالية سميكة،
ووفرة من الشمس،
ووسادة باردة.
وأتوقع في النهاية لحظة
من الإدراك الصافي
حين أستطيع أن أحسّ حبة البلازيلاء
تحت فراشي
وألمح صقراً شارداً
في زرقة السماء.

Twitter: @ketab_n

ظلّ

الشمس تهبط أخيراً كنهاية رواية روسية،
والظلمة الدامسة التي تغمر القارة
تجعلني أدرك كم بتّ متعباً من القراءة والكتابة.
كم صارت تتعبني مشاهدة كل تلك العبارات
وهي تعدو كالجياد على حقول الورق،
وكم تعبت من فحص عظام الكتب المكشوفة
ومن أن يجرّني رسن كلمات كاتب ما
ليس في وسعي أن أراه.

أريدُ الإبحار بعيداً عن شواطئ اللغة،
أن أكون قارباً بلا ركّاب تائه في البحر،
بلا مراجع ولا مترادفات وبلا اسم منقوش حتى.

Twitter: @ketab_n

لا شيء سوى الصمت،
ذلك الصمت الذي يحلّ
كلما خرجتُ حاملاً دفتر ملحوظات
لكي تفرش عليه غيمة عابرة
ظلها الأسود.

Twitter: @ketab_n

رجل في الفضاء

ليس عليك سوى أن تتأمل كيف يكلّم رجل زوجته
على مائدة محتشدة بالضيوف
وأن تلاحظ مدى تصميمه على إيصال وجهة نظره
وإن كانت شفته السفلى قد بدأت بالارتعاش،
حتى تعرف لماذا النساء في أفلام الخيال العلمي
اللواتي يقطنّ كوكباً خاصاً بهن،
لا يكنّ منهمكات بإعداد السلطة أو قراءة مجلة
حين يصل رجالٌ من كوكب الأرض إلى صوارخيهن،
لماذا تجدهن واقفات دائماً في نصف دائرة
طاويات أذرعهن فوق صدورهن،
مباعدات بين سيقانهن العارية،
وقد غطين نهودهن بأقراص معدنية صلبة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

من «نزهة، صاعقة» (١٩٩٨)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

موت القبعة

في ما مضى كان الجميع يعتمرُ القبعات.

في الأفلام الإخبارية القديمة
تبدو شوارع المدن
أنهاراً واسعة تحتشد بالقبعات.

كانت ملاعب البايسبول تختفي
تحت آلاف قبعات القش،
بينما الرجال يهتفون تحتها
بقمصانهم الخفيفة.

كانت القبعات هي القانون السائد.
لم يكن من حاجة إلى التحدّث عنها.

Twitter: @ketab_n

كان يمكن أن تلاحظ رجلاً
إن لم يكن يعتمر قبعة بين الحشود.

كنت تشتريها من «آدامز» أو «دوبس»
وكان يمكن أن ينقشوا أولى أحرف اسمك بالذهب
على بطانتها الداخلية.

كانت عربات «الترولي» تعبر المدينة.
والسفن البخارية تدخل إلى الميناء أو تخرج.
وكان رجال بقبعات يتجمّعون على الأرصفة.

كان ثمة من يأخذ منك القبعة
على مدخل المطعم
وفتاة تهتم بها
بينما تحتسي كأساً
أو تتناول شريحة من اللحم.
وكان هناك حامل قبعات في مكتبك.

Twitter: @ketab_n

يوم أعلنت الحرب
كان كلّ من في الشوارع يعتمر قبعة.
وكانوا يعتمرون القبعات
حين غرقت سفينة مليئة بالبشر في بحر الجليد.

كان أبي يعتمر قبعة إلى العمل
ويعود إلى المنزل حاملاً صحيفة المساء
وبرد الشتاء يتوهّج من معطفه.

لكننا اليوم نمشي حاسري الرؤوس
في شوارع الشتاء،
وكذلك نقف على الأرصفة الباردة.

صناديق البريد على جانب الطريق
وأشجار الصنوبر وراء المنزل
تعتمر اليوم قبعات الثلج البيضاء.

Twitter: @ketab_n

الفئران تعدو من الجدران ليلاً
بقبعاتها الفرو السميكة
لكي تلتهم بذور الطيور المتساقطة.

والآن، ها هو أبي،
بعد عمر أمضاه في العمل،
يعتمر قبعة من التراب،
وفوقها،
قبعة من السحب والنجوم،
قبعة من الرياح.

Twitter: @ketab_n

صيد السمك في نهر «ساسكويهانا»[1] في يوليو

أعترف بصدق تام:
لم أمارس الصيد في نهر «ساسكويهانا»
ولا في أيّ نهر آخر.

لم أعرف، لا في يوليو ولا في أي شهر آخر
متعة - إذا كنا نستطيع تسميتها متعة -
صيد السمك في نهر «ساسكويهانا».

---

(١) Susquehanna River: نهر في الولايات المتحدة الأمريكية، ينبع في أواسط ولاية نيويورك ويصب في خليج «شيسابيك».

Twitter: @ketab_n

من المرجّح أكثر أن تجدني
في غرفة هادئة كهذه الغرفة
فيها لوحة امرأة على الجدار
ووعاء «تنغرين»[1] على الطاولة
محاولاً استحضار إحساس
صيد السمك في نهر «ساسكويهانا».

يعتريني بعض الشك أيضاً
في أن هنالك في العالم
من اصطادوا حقاً في نهر «ساسكويهانا»
مجذفين بقواربهم الخشبية في أعالي النهر،
ثم رافعين مجاذيفهم إلى الضوء
وهي تقطر ماء.

---

(١) التنغرين: فاكهة حمضية من فصيلة اليوسفي أصغر حجماً من البرتقال.

Twitter: @ketab_n

لكن أقرب ما توصّلت إليه
من الصيد في نهر «ساسكويهانا»
كان ذات عصرية في «متحف فيلادلفيا»
حين وقفت لبعض الوقت أتأمّل لوحة
يتعرّج فيها هذا النهر عند أحد المنحنيات
تحت سماء زرقاء احتشدت بالغيوم،
وعلى امتداد الضفاف انتشرت أشجار كثيفة
وهناك شاب يضع وشاحاً أحمر
يجلس في قارب صغير أخضر
رافعاً راية رفيعة.

أذكر أنني قلت لنفسي ولشخص يقف بجواري:
«هذا شيء لن أفعله قط»
ثم انتقلت إلى المنظر الأمريكي التالي
الذي يمثّل أكواماً من القشّ
ومياهاً ترغي فوق الصخور.

Twitter: @ketab_n

وكانت هناك لوحة
تمثّل أرنباً بنياً
بدا شديد التيقظ بحيث تخيّلته
يقفز إليّ من اللوحة.

Twitter: @ketab_n

صباح

من يبالي ببقية اليوم،
بالانحدار إلى ما بعد الظهر،
بالغرق المفاجئ في المساء،
يليه الليل بعطوره الفاضحة
ونجومه الكثيرة؟

هذا أفضل وقت. . .
حين تطرح عنك الأغطية الخفيفة،
وتضع قدميك على الأرضية الباردة،
وتشرب «الإسبرسو»
بينما تتنقّل في أرجاء البيت

Twitter: @ketab_n

ربما ترشّ وجهك بقليل من الماء،
ربما تتناول بضع حبّات من «الفيتامين»،
لكنك تمضي معظم الوقت شارباً «الإسبرسو»
بينما تتنقّل في أرجاء البيت،
بينما الأطلس والقاموس مفتوحان على السجادة،
والطابعة تنتظر مفتاح رأسك،
وأحدهم يعزف على «تشيلو» في المذياع،

وإذا كان من داع لذلك
تقف عند النافذة،
متأملاً الأشجار التي تبلغ الخمسين أو المائة عام،
غيوم ثقيلة تدنو
والعشب يعدو مسرعاً كجواد
في الصباح الباكر.

Twitter: @ketab_n

تجريف الثلج مع بوذا

في أيقونات المعبد
أو تلك المنقوشة على الأواني محلية الصنع
لن تراه البتة يفعلُ شيئاً كهذا:
يرمي الثلج الجاف
وراء جبل منكبيه العاريين المدوّرين،
وقد عقد شعره إلى الخلف
لمزيد من التركيز.

أسرع ما يفعله عادة هو الجلوس ،
إذا كانت هذه الكلمة المناسبة
لوصف ما يفعله أو ما لا يفعله.

Twitter: @ketab_n

حتى الطقس لا يشبهه.
ففي جميع تحولاته
ألا يكون الطقس حاراً ورطباً بعض الشيء؟
ألا توحي بذلك تعابير وجهه الرصينة،
وتلك الابتسامة الواسعة
إلى حدّ أنها تلفّ خاصرة الكون؟

لكن ها نحن الآن معاً
نشقّ طريقنا عند المدخل
جارفَين الثلوج معولاً بعد معول.
ناثرَين بودرتها الخفيفة في الهواء النقيّ.
نحسّ الغشاوة الباردة على وجوهنا.
ومع كل معول نختفي ونتوه عن بعضنا
وراء تلك الغيوم المفاجئة،
تلك الانفجارات الثلجية،
التي أحدثناها بأنفسنا.

Twitter: @ketab_n

«هذا أمتع بكثير من موعظة في كنيسة»،
أقول بصوت عال، لكن بوذا يتابع الجرف.
أقول: «هذه هي العقيدة الصحيحة، عقيدة الثلوج،
وشعاع الشمس
بينما أوزة الشتاء تنبح في السماء»،
لكنه أكثر انشغالاً من سماعي.

إنه مستغرق في عمله
كأن جرف الثلوج هو هدف الوجود،
كأن الدلالة إلى حياة رائعة هو مدخل مفتوح
تجتازه سيارتك بسهولة
وتنحو بعيداً عن توافه العالم
مع جهاز تدفئة معطل وأغنية في المذياع.

طوال الصباح نعمل جنباً إلى جنب،
أنا أثرثر تعليقاتي
وهو داخل كهف صمته الضخم،

Twitter: @ketab_n

حتى نبلغ الظهر تقريباً
وتتكوّم الثلوج من حولنا،
ثم أسمعه يتكلم.

يسألني:
«أنستطيع الدخول ولعب الورق؟»

«بالتأكيد»، أجيبه، «سأسخّن بعض الحليب
وأحضر كوبين من الشوكولا الحارّة إلى الطاولة
بينما تخلط الورق
وتجفّ أحذيتنا عند الباب».

آآآه، يقول بوذا، رافعاً عينيه
مستنداً للحظة على معوله،
قبل أن يغرز شفرته الرفيعة مجدداً
في أعماق الثلج الناصع.

Twitter: @ketab_n

اليابان

أمرّر وقتي هذا اليوم
بقراءة واحدة من قصائد الهايكو المفضلة عندي
مردداً كلماتها القليلة مرة بعد مرة.

الأمر أشبه
بالتهام حبة العنب الصغيرة نفسها
مراراً وتكراراً.

أمشي في البيت منشداً القصيدة
تاركاً حروفها تسقط
في هواء الغرف.

Twitter: @ketab_n

أردّدها أمام صمت البيانو الكبير
ثم أمام لوحة تمثّل البحر
وأنقر إيقاعها على رفّ فارغ.

أستمع إلى نفسي وأنا أرددها
ثم أرددها من دون أن أستمع
ثم أسمعها من دون أن أرددها.

وحين يرفع الكلب رأسه نحوي
أنحني أرضاً وأهمسها
في كل واحدة من أذنيه الكبيرتين.

إنها القصيدة التي تتكلم عن جرس المعبد العملاق
الذي تنام عليه فراشة

وكلما قلتها أشعرُ بالضغط المؤلم للفراشة
على سطح الجرس الحديدي.

Twitter: @ketab_n

حين أقولها عند النافذة
يصبح الجرس هو العالم
وأنا الفراشة واقفة هناك.

حين أقولها أمام المرآة
أكون الجرس الثقيل
وتكون الفراشة الحياة بأجنحتها الرقيقة.

ولاحقاً حين أهمسها لك في العتمة
تكونين الجرس
وأنا لسان الجرس الذي يقرع،

والفراشة تطير
من السطر
وترفرف كمفصلة باب هوائي
فوق سريرنا.

Twitter: @ketab_n

حياتي

أحياناً أراها خطاً مستقيماً
رسم بقلم رصاص ومسطرة
يقطع دائرة هذا العالم،
أو إصبعاً يثقب
حلقة من دخان بطريقة عرضية،
لكن بعدئذ تغيب الشمس،
أو يرنّ الهاتف،
وأكفّ عن التساؤل
ما إذا كانت حياتي شيئاً واحداً،
كرة كبيرة من الهواء والذكريات،
أو عدة أشياء:
سلسلة من البلدات الزراعية،
أو الطريق المتعرّج المظلم الذي يتخلّلها.

Twitter: @ketab_n

لنقل إنها حقل
كنت أفلحه كل يوم،
أفلح وأغني،
ثم أنام في أحد أخاديده،
أو الآن بما أن أكثر من نصفها قد انتهى،
أتخيلها باباً مشقوقاً،
مطراً يقطر من المزاريب،

مثل حياتك، قد تكون أي شيء،
عشاً يحتوي على بيضة واحدة،
رواقاً يؤدي إلى ألف غرفة
وكل ما يقع أمام البصر
حين أغمض عينيّ
أو أنظر من النافذة
لأكثر من بضع دقائق،
بحيث أظن أنه يوماً ما
ستصبح حياتي كل شيء ولا شيء في آن معاً.

Twitter: @ketab_n

لكن جالساً في السرير هذا الصباح،
مرتدياً كنزتي السوداء ونظاراتي
وراء الستائر المسدلة والنوافذ المفتوحة،
كنت بحيرة، وكانت قصيدتي قارب فارغ،
وحياتي هي النسيم الذي يهبّ
على المشهد برمته
محركاً كل ما يلمسه:
سطح الماء، الشراع المتمايل،
وحتى الأشجار الضخمة المثقلة بالأوراق
على امتداد الشاطئ.

Twitter: @ketab_n

إلى غريب سيولد في بلد بعيد بعد مئات السنين

«أكتب القصائد لغريب سيولد في بلد
غريب بعد مئات السنين»

ماري أوليفر

لا أحد هنا يحبّ كلبة مبلّلة.
لا أحد يريد أن يتعاطى مع كلبة مبلّلة
لأنها كانت في العراء تحت المطر
أو لأنها ذهبت تستردّ عوداً خشبياً من البحيرة.
انظروا إليها هذه الليلة وهي تتنقّل في الحانة المحتشدة
من شخص لآخر أملاً بأن يربّت أحدهم رأسها
أو أن يمسّد أحدهم وراء أذنيها،
وهو أمر يمكن القيام به بيد واحدة فحسب
دون الحاجة إلى مقاطعة المحادثة.

Twitter: @ketab_n

لكنّ الجميع يدفعها بعيداً،
بعضهم بركبته، وبعضهم بحذائه.
وحتى الأطفال الذين لا يلاحظون أنها مبلّلة
قبل أن يبادروا إلى تربيتها،
يدفعونها بعيداً،
ثم يمسحون أيديهم بثيابهم.
وكلما اتجهت نحوي
أشهر في وجهها راحة يدي
فتغيّر الاتجاه.

آه، أيها الغريب المستقبليّ!
أيها الغريب الغامض!
مهما يكن شكل بيتك،
مهما كانت بعيدة بلادك،
مهما بدت ثيابك غريبة وعديمة اللون،
أراهن أن لا أحد في المستقبل
يحبّ أيضاً كلبة مبلّلة.
أراهن أن الجميع في حانتكَ
بمن فيهم الأطفال،
سيدفعها بعيداً.

Twitter: @ketab_n

في بعض الأيام

في بعض الأيام
أضع الناس في أماكنهم إلى المائدة،
أجلسهم رِجلاً على رجل
إذا كانت لهم مثل هذه الهيئة
وأثبّتهم على الكراسي الخشب الصغيرة.

طوال العصريّة يجلسون متقابلين،
الرجل ذو البزة البنية، مثلاً،
قبالة المرأة ذات الفستان الأزرق،
بلا أي حركة،
بلا أي صخب.

Twitter: @ketab_n

لكن في أيام أخرى
أكون أنا من يُحمَل من كتفيه،
ثم يوضع مع الآخرين إلى المائدة الطويلة
في حجرة طعام بيت الدمى.

أمر طريف حقاً،
لكن ما رأيك لو لم تكن تعلم
إذا كنتَ ستمضي اليوم متنقلاً في الأرجاء
كإله مفعم بالحيوية يبلغ كتفاه الغيوم،
أم جالساً هنا في الأسفل
بين ورق الجدران،
ووجهك البلاستيكي الصغير
يحدّق إلى الأمام؟

Twitter: @ketab_n

من «الإبحار وحيداً حول الغرفة»

(٢٠٠١)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

نسيان

أول ما تنساه اسم المؤلف
يتبعه بكل إذعان عنوان الكتاب، ثم الحبكة،
ثم الخاتمة التي تخطف الأنفاس، ثم الرواية برمتها
التي تصبح فجأة شيئاً لم تقرأه قطّ
ولم تسمع به حتى،

كأنما، واحدة بعد الأخرى، قرّرت ذكرياتك الأليفة
أن تعتزل في النصف الجنوبي من الدماغ
في قرية صيد صغيرة لم تبلغها الهواتف.

Twitter: @ketab_n

منذ زمن بعيد قبّلتَ مودّعاً إلهات الإلهام التسع
وراقبت الجذر التربيعي يحزم حقائبه
وحتى الآن بينما تتذكر ترتيب الكواكب
فإن شيئاً آخر ينسلّ من ذاكرتك،
ربما زهرة بسيطة،
أو عنواناً شاغراً، أو عاصمة الباراغواي.

لكن مهما كابدت لتتذكّر
فليس على طرف لسانك
ولا حتى في ركن غامض من طحالك.

لقد فرّ بعيداً في نهر ميثولوجي مظلم
يبدأ اسمه بحرف «ل» بقدر ما أتذكر،
حسناً في طريقك إلى النسيان
حيث ستنضم إلى أولئك
الذين لم ينسوا قطّ السباحة أو ركوب الدراجة

Twitter: @ketab_n

لا عجب أنك تصحو في منتصف الليل
لكي تبحث في كتاب عن الحرب
عن تاريخ معركة شهيرة
لا عجب أن القمر على النافذة
يبدو خارجاً
من قصيدة حب
كنتُ تحفظها عن ظهر قلب.

Twitter: @ketab_n

شراك الليل

فكّرت في موته ساعات طويلة،
عالقاً هناك في شراك الليل،
بحيث اتخذ جسداً وصارت له أبعاد
أكثر من ذبذبة صوت عبر الهاتف
أو خبر النعي الأسود الذي يتضمن الاسم
وتاريخ الميلاد والوفاة.

أصبح لموته الآن مدخل ومخرج،
أبواب وأدراج، نوافذ ومصاريع
هي الأجنحة المتجمدة للنوافذ.
أصبح لموته رأس وثياب،
قميص الموت الأبيض وسرواله الأسود الفضفاض.

Twitter: @ketab_n

أصبح لموته صفحات، غلاف جلدي قاتم، فهرس،
وقد خُطّ الكتاب بخط بالغ الدقة
بحيث يستحيل على أحد قراءته.
أصبح لموته مفصّلات وبراغ تزيّت وتقفل
أصبح له محرك صاخب، وأربع عجلات،
وهوائي يلتقط صوت الريح،
ومرآة ينعكس فيها الماضي.

أصبح لموته قوابس ومفاتيح، جدران وروافد.
وأصبح له مقبض يمكنك أن تمسكه وأرضية
لا يمكنك الاستلقاء عليها في منتصف الليل.

في الفجر الرماديّ المسخي آخذ
موته معي إلى السرير فيصبح موته سريري
وفي كل من زوايا الغرفة يختبئ من الضوء،

Twitter: @ketab_n

ثم يصبح هو الضوء، وفي صباح اليوم التالي،
وفي كل الأيام التالية،
ينتقل إلى المستقبل
مثل رأس قلم مروّس
يتحرك على ورقة فارغة.

Twitter: @ketab_n

القبعة الشمعة

في معظم البورتريهات يهيمن الوجه:
«سيزان» عينان سابحتان في ضربات الريشة،
«فان جوخ» يحدّق من هالة من العتمة،
«رمبرانت» يبدو مرتاحاً كأنه يأخذ استراحة
من رسم «تعمية شمشون»[1].

لكن في هذا البورتريه نجد «غويا» بعيداً عن المرآة،
نراه واقفاً في فوضى مرسمه
مخاطباً لوحات مائلة على حامل لوحات طويل.

---

(١) واحدة من أشهر لوحات رمبرانت.

Twitter: @ketab_n

يبدو أنه يبتسم في وجوهنا
كأنه يشعر بتعجّبنا من القبعة الغريبة على رأسه،
تلك الأداة التي كانت تتيح له العمل ليلاً،
التي زوّدت حافتها بالشموع.

تتساءل فحسب ما سيكون إحساسك
لو اعتمرتَ شمعداناً كهذا
كأنك غرفة طعام أو صالة موسيقى مشّاءة.

لكن حين ترى هذه القبعة
لا تعود في حاجة
إلى قراءة سيرة «غويا»
أو تذكّر تاريخ ميلاده وموته.

Twitter: @ketab_n

ليس عليك، لكي تفهم «غويا»، سوى أن تتخيله
يضيء شمعاته تباعاً،
ثم يعتمر القبعة،
استعداداً للعمل الليلي.

تخيله يفاجئ زوجته بهذا الاختراع الجديد،
وكيف سيكون ضحكها أشبه بكعكة عيد ميلاد متوهّجة.

تخيله يمضي بين غرف منزله متوهجاً
بينما تتنقّل ظلاله بين الجدران.

تخيل مسافراً تائهاً يطرق بابه
ذات ليلة مظلمة في أرياف إسبانيا.
يقول له غويا: «تفضل... كنت أرسم نفسي فحسب»
بينما يقف عند الباب حاملاً فرشاته
الشبيهة بالعصا السحرية،
المضاءة بوهج قبعته الشهيرة.

Twitter: @ketab_n

قارئاً أنطولوجيا الشعر الصيني خلال «سلالة سونغ»
أتوقف لأتأمل معجباً بطول عناوين القصائد ووضوحها

يبدو أن أكمام هؤلاء الشعراء
لا تخفي الكثير
بحيث يكشفون الكثير من أوراق اللعب باكراً جداً،
فيخبروننا في السطر الأول
ما إذا كان الطقس ماطراً أو جافاً،
نهاراً أم ليلاً،
ويخبروننا عن الفصل الذي يقف فيه الشاعر،
بل وحتى مقدار ما اضطر إلى شربه.

ربما كان الخريف وكان ينظر إلى عصفور دوريّ.
ربما كانت تثلج فوق بلدة تحمل اسماً رائعاً.

Twitter: @ketab_n

«مشاهدة أزهار عود الصليب في معبد الحظ الحسن
ذات عصرية مكفهرة بالغيوم» هذه واحدة من قصائد
«سان تانغ بو».
«جلب ماء من النهر وغلي الشاي»
قصيدة أخرى، أو بكل بساطة:
«على متن قارب، مستيقظاً في الليل».

أما «لو يو» فيتناول كعكة بسيطة بالأرز في قصيدة
«في قارب في مساء صيفي
سمعت زعيق طائر الماء.
وبدا بالغ الحزن وكأنه يقول:
امرأتي قاسية، فتأثرت وكتبت هذه القصيدة».

ليس من باب حديدي دوّار ليضغط عليه المرء هنا
كما مع عناوين من قبيل «دوّامة على حبل رفيع»
أو «بوق العصاب» أو ما شابه.
لا سجادة ترحيب نقشت عليها كلمات ملغزة.

Twitter: @ketab_n

تجد بدلاً من ذلك:
«أخرج ذات صبيحة صيفية
على أصوات الطيور والشلال»:
ستارة مطرزة بالخرز تحفّ بكتفي.

و«عشرة أيام من المطر الربيعي أبقتني داخل البيت»:
خادم يريني الغرفة
حيث يجلس شاعر ذو لحية خفيفة
على سجادة مع إبريق من النبيذ
هامساً شيئاً ما عن الغيوم والطقس البارد
عن المرض وخسارة الأصدقاء.

كم يسهل عليّ الدخول إلى هذه الحجرة،
واتخاذ مجلس في الزاوية
حيث أستطيع أن أشبك رجلي هكذا،
وأصغي.

Twitter: @ketab_n

يوم مثلج

حين استيقظنا اليوم وجدنا رايات الثلوج البيضاء
ترفرف فوق كل شيء،
كل شيء اختفى في البياض،
وليس من جرذ واحد يرسم لطخة من سواد،
ووراء تلك النوافذ
اختفت الأبنية الحكومية،
دفنت المدارس والمكتبات العامة،
وضاع مكتب البريد
تحت الركام الصامت،
دروب القطارات سُدّت بنعومة،
وسقط العالم تحت هذا الهطول.
بعد قليل سأنتعل جزمتي الثقيلة
وأخرج مثل شخص يمشي على الماء

Twitter: @ketab_n

والكلب سيصبح خنزير بحر في الثلج المتراكم،
وسأهزّ غصناً مثقلاً،
مرسلاً فوق رأسينا حماماً بارداً.
لكنني الآن ألتزم المنزل طوعاً
تعاطفاً مع قضية الثلج الفوضوية،
سأعدّ إبريقاً من الشاي
وأصغي إلى المذياع البلاستيكي على الطاولة،
جذلاً كأي شخص آخر بسماع الأخبار
التي تفيد بأن مدرسة «كيدي كورنر» مقفلة،
ومدرسة «دينغ دونغ» مقفلة
ومدرسة «أول أبرود تشلدرن» مقفلة،
وحضانة «هاي هو» مقفلة
وسيسرّ بعضنا أن يسمعوا أيضاً
بأن مدارس: «تودستول، ذي ليتل سكول،
ليتل سبارو نيرسوري سكول،
ليتل ستارز بري سكول، بيز أند كاروتز داي سكول،
ذي تومب ثامب تشايد سنتر»،
كلها مقفلة،

Twitter: @ketab_n

ويمكنكم أيضاً أن صفقوا لسماع هذا الخبر:
«ذي بينتس بلاي سكول» مقفلة كذلك.

هنا يختبئ الأطفال إذن طوال النهار،
هذه هي الأعشاش التي يتعلمون فيها الكتابة والرسم
حيث يرتدون ستراتهم البراقة الصغيرة
وينشغلون جميعاً بالركض والتسلق والتزحلق،
جميعاً باستثناء حفنة من الفتيات
المتشاغلات بالهمس عند السياج.
والآن أصيخ السمع
في صمت الثلج العظيم
محاولاً سماع خيوط مؤامرة أولئك الفتيات الثلاث
أي فوضى يحكن
وأيّ ملكة صغيرة
على وشك أن تطرد من القصر.

Twitter: @ketab_n

النادلة

متبسّمة تضعُ الشراب
ثم تعود بعد قليل بواحد آخر
مع لائحة الطعام
وتأخذُ الكأسَ الفارغ
تضع أمامي طبقاً من لحم العجل وبعض شرائح الليمون الرفيعة
وحين أطلب المزيد من الخبز تبتسم وتمضي
ثم تعود لتتأكّد من أن كل شيء على ما يرام
ولتملأ كأسي بالنبيذ،
ثم تظلّ تروح وتجيء
حتى يتجسّد فيها كل النُدل
الذين عرفتهم في حياتي.
أرفع الشوكة في الهواء

Twitter: @ketab_n

وأتأمل شفرات المروحة
تدور ببطء على السقف
وأتخيّلهم جميعاً
الأحياء منهم والأموات
وقد اجتمعوا معاً ذات ليلة
في قاعة رقص واسعة
حيث خلعوا بزاتهم ومرايلهم وربطات أعناقهم
وها هم الآن يدخّنون السجائر
أو يرقصون مع بعضهم
ملتفّين ببطء بين أذرع بعضهم
على إيقاع فرقة خماسية رخيمة الصوت.
وهذا كل ما أستطيع التفكير فيه
بعد أن أترك الحساب
وبقشيشاً عاطفياً كبيراً
وأخرج إلى الشوارع المضاءة بالفلورسنت
مواجهاً صقيع أكتوبر بياقة معطفي
بينما نُدل حياتي
يرقصون ببطء

Twitter: @ketab_n

تحت ما يبدو أضواء ملونة
حتى أدرك أن قاعة الرقص
ليست إلا أوراق الخريف
الحمراء والصفراء والذهبية
التي لا تنتظر أكثر من هبة ريح مفاجئة
لتنثرها جميعاً
في المساحات المظلمة
بعيد شوارع الليلة الأخيرة
شبه المقفرة.

Twitter: @ketab_n

الأفلام

أرغبُ في مشاهدة فيلم هذه الليلة.
فيلم يدخلُ فيه غريبٌ ما إلى بلدة ما
أو ينطلقُ أحدهم في رحلة طويلة.
فيلم يعدُ بالخطر،
ذلك الخطرُ الذي يفرضه الغريبُ
على سكان البلدة
أو الذي سيواجهُ الشخصَ
في رحلته أو رحلتها الخطيرة،
لا يهمني ذلك
ما دمتُ بعيداً عن الخطر،
وأظن أنه لا خطر كبيراً في مشاهدة الأفلام.

Twitter: @ketab_n

أفضّلُ مشاهدةَ هذا الفيلم في البيت
بدلاً من الذهاب في هذا الطقس البارد إلى السينما
والوقوف في الطابور لشراء بطاقة.
أرغبُ في مشاهدته ممدّداً
موثقاً إلى التلفزيون
مثلما توثق عربة
إلى زوجين من الأحصنة
بحيث يجرّني الفيلم معه
على دروب مغامراته الوعرة الشاقة.
سأبقى بعيداً عن الخطر
بالتماثل مع الشخصيات
مثلما يفعل الساقي في الفيلم
الذي يروي قصة الغريب الذي يدخل إلى البلدة،
ذلك الساقي الذي يعرف متى يحني رأسه
حين يحطّم كرسيٌ المرآة فوق المشرب.
أو ناظرُ محطة القطارات
في الفيلم الذي يروي قصة الرحلة الخطرة،

Twitter: @ketab_n

الرجلُ الذي يخرج من جيبه ساعة ذهبية،
يساعدُ سيدة على الصعود إلى القطار،
ويناولُ حقيبة ثقيلة
للرجل ذي الشاربين الكثين
والعينين الإجراميتين،
ثم يلوّح للمهندس الميكانيكي بأن كل شيء على ما يرام.
ثم ينطلقُ القطار من المحطة
ويستمر الفيلم من دوني.
وفي نهاية اليوم
أعلق قبعتي البيضاوية
وأسلك طريقاً مختصرة إلى البيت،
إلى كلبي وزوجتي الوفية الرائعة
وأطفالي:
«مولي» و«لوسيندا» و«هارولد جونيور».

Twitter: @ketab_n

غيرة

لا تزعجني المباني المائلة
ولا الأزقة العمياء
ولا الأدراج التي لا تقود إلى أي مكان
ولا تلك الناقصة ببساطة.

ولا السير في مدينة غريبة
حاملاً سلسلة فيها ألف مفتاح
بحثاً عن أسوأ باب فيها،
أو الخرائط الفارغة التي يعطيني إياها غرباء.

لكن ما لا أطيقه
فرارك الدائم مني،

Twitter: @ketab_n

اختفاؤك وراء منعطف،
ثم ظهورك في صندوق المصعد،
ناظرة من النافذة الخلفية لسيارة تاكسي،
ودائماً ممتشقة ذراع رجل طويل
يرتدي بزة رائعة
وقبعة طويلة رائعة
وأعرف أنه يحمل مسدساً.

ما يقتلني هو الطريقة التي تتمدّدين فيها هناك
في الصباح، عيناك مغمضتان،
مكوّرتان على كرة نوم لذيذة
وتلك البراءة التي ترتسم على محياك
حين تخبرينني بينما نحتسي القهوة ونقشّر البرتقال
أنك كنت هناك حقاً طوال الليل،
بقربي على السرير،
ثم تتوقعين مني أن أصدق أنك تهت
في حلمك الخاص،

Twitter: @ketab_n

بسبب حجة غياب سخيفة
تتعلق بالسباحة في الغيوم،
على وقع الأجراس،
أو كذبة بيضاء مكشوفة
عن التحليق من النافذة
ثم دفن وجهك
بين جناحي ملاك.

Twitter: @ketab_n

المجلّدات

خصصت جزءاً من مكتبتي للموت
وآخر لتاريخ أيرلندا،
بعض أرفف للشعر الصيني والياباني،
وفي الوسط بعض المراجع الرصينة
التي تمكن العودة إليها في أي وقت
حين تمضي الليلة بطريقة سيئة
أو يمتلئ النهار بالوعود الفارغة.

لا شيء لديّ
ضدّ الدراسات العميقة، والأبحاث الغريبة، من قبيل:
«ملاحظة عن هوية طبيب أسنان تشيخوف»،
لكن ما أفضّله في أيام كهذه

Twitter: @ketab_n

هو النهوض عن الكنبة
وجلب كتاب «تاريخ العالم»،
هذا الكتاب الذي يحتوي تقريباً على كل شيء
ولا يزن أكثر من اثني عشر باوناً
أي بوزن كيس بطاطا
مثلما اكتشفت حين وضعته ذات يوم
على الميزان الحديدي الأسود
الذي كانت تحتفظ به أمي في المطبخ
لتزن عليه الطحين أو الأسماك.

مشرّعاً في حضني
تحت ضوء المصباح
دائماً ما يستطيع كتاب كهذا دائماً
تهدئة الأعصاب بطريقة ما،
دائماً ما يتمكّن من إسكات أمواج المعلومات الهائجة
التي تغمرني
رغم أنه لا يأتي على ذكر
أشغال الفقراء الصامتة،

Twitter: @ketab_n

ولا أحلام يقظة البقالين والخياطين
ولا وجوه الرجال والنساء الوحيدين في غرف موحشة.

رغم أنه لا يذكر أمي قطّ
بما أنني تذكرتها الآن،
التي قفزت منذ عام عن حافة الأرض
في سريرها الكهربائي،
في ثوب نومها الزهري الناعم
عظام أصابعها متشابكة،
بينما عيناها ساهمتان إلى الأعلى
أبعد من كل معرفة،
أبعد من شخصيات التاريخ الصغيرة،
الذين يرتدي بعضهم البزات العسكرية
وبعضهم بلا بزات،
الذين يزحفون
على صفحات هذا الكتاب
الثقيل بصورة لا تصدّق.

Twitter: @ketab_n

رجل يستمع إلى أسطوانة

ليس هذا بسيء
السير ببطء في «٤٤ ستريت»
بصحبة «سوني رولينز»[١]،
الذي تتدفق موسيقاه
من سماعتيّ الأذن هاتين.

كأنه يمشي معي
في هذا اليوم الصافي من مارس،
الرصيف يتلألأ بالضوء،
والحمام يرفرف عن عتبات النوافذ،
ناقراً كسرات الخبز الوفيرة.

---

(١) سوني رولينز (١٩٣٠-): عازف ساكسفون أمريكي.

Twitter: @ketab_n

ليس ثمة ما يجاري سروري
بأن تغمرني الجمل المتدفقة من ساكسوفونه،
التي بعضها كالعسل وبعضها كالخلّ،
سوى امتناني لـ «تومي بوتر»[1] الذي انضم إلينا
بعد ظهر هذا اليوم المنعش
هو و«باصه» الضخم
وللقدير «آرثر تايلور»[2]
الذي ينجح على نحو ما باجتياز
هذا الحشد بطبوله الثقيلة.

وكم رائع أن «تلينيوس مونك»[3]
قد وجد طريقة لإحضار البيانو الضخم
بالشاحنة أو أياً يكن
لكي يكون معنا في هذا اليوم.

---

(١) تومي بوتر (١٩١٨-١٩٨٨): عازف باص أمريكي.
(٢) آرثر تايلور (١٩٢٩-١٩٩٥): عازف طبول أمريكي.
(٣) تلينيوس مونك (١٩١٧-١٩٨٢): مؤلف موسيقى جاز وعازف بيانو أمريكي.

Twitter: @ketab_n

هذه الموسيقى مرتفعة لكنها شديدة السرّية
بحيث لا أستطيع منع نفسي من الإحساس
بأنني مركز الكون أكثر من المعتاد
بينما أمشي إلى نسخة سريعة الإيقاع
من «جمالكِ هذه الليلة».

وكل ما أستطيع قوله للمشّائين الآخرين،
للمرأة بالبلوزة البيضاء،
والرجل في معطف المطر والنظارات السميكة،
اللذين يحسبان أنفسهما خطأ مركز الكون،
كل ما يمكنني قوله لهما: «انتبها لخطواتكما
لأننا نحن الخمسة، مع الآلات وكل شيء،
بصدد الانتقال إلى جنوب الشارع
ثم، بطريقتنا المتداخلة الضيقة
سننعطف إلى «سكث أفينيو».

Twitter: @ketab_n

وإذا كان أحدكما مهتماً
بمعرفة وجهة حشدنا هذا
الذي يعمل على قوة البطاريات،
فلنقل فحسب إن مركز الكون الحقيقي،
وجهة النظر الحقيقية الوحيدة،
مليئاً بالأمل بحيث أن محور الأكوان
بشعره الذي يتطاير على الجانبين،
سيمضي إلى آخر الطريق
باتجاه وسط البلد.

Twitter: @ketab_n

الجسر الحديدي

أقفُ على جسر حديديّ مهجور
شيّد عام ١٩٠٢
كما تفيد الصفيحة المعدنية على أحد الأعمدة،
وهو العام الذي بلغت فيه أمي عامها الأول.
تخيّل أمي في طفولتها،
وكانت طفلة كندية بالمناسبة،
واحدة من الأطفال العظام في مقاطعة «أونتاريو».

لكن ها أنا ذا أقف مستنداً إلى السياج الصدئ
ناظراً إلى المياه الضحلة في الأسفل،
التي تنعكس فيها هذا الصباح
سماء زرقاء وبعض الغيوم العالية،

Twitter: @ketab_n

وكلما نظرت أكثر إلى المياه
الأشبه بالصورة الناطقة،
فكّرت أكثر بالعام ١٩٠٢
حين قام عمّال بقمصان وقبعات
بتثبيت دعائم هذا الجسر
فوق قناة رفيعة تصل بحيرتين،
حيث الهواء يهزّ أعشاب الضفة الآن
وتطوف بجعتان في الجون المحتشد بالعشب.

في العام ١٩٠٢ كانت أمي صغيرة جداً
بحيث كان يمكن وضعها
في واحدة من سلال التفاح البيضاوية،
التي قد تكون أمها فرشتها بالقماش الناعم
ووضعتها على طاولة المطبخ
لكي تبقي عينها على الطفلة كاثرين
بينما تقشّر البطاطا أو كيساً من الفاصولياء،

Twitter: @ketab_n

مثلما أبقي عينيّ على طائر الغاق ذاك
الذي كسر للتو صفحة الماء الزجاجية
وبدأ يبتعد عني وعن الجسر الحديدي،
ملوّحاً برأسه الغريب،
منزلقاً إلى حيث الشمس تلامسُ المياه
وتتسلل عبر الأشجار المحتشدة على الشاطئ.

وها هو يغطس الآن،
يختفي تحت الماء،
وبينما أنتظر ظهوره ثانية
أتخيله يحلّق تحت الماء بجناحيه الغريبين،

مثلما أتخيلك يا أمي الصغيرة
التي اختفت العام الفائت،
تحلقين في مكان ما بجناحيك الغريبين
وعينيك الواسعتين، وثوبك الثقيل المبلل،
تغوصين أعمق وأعمق في البحيرة،
بلا نهاية أو اسم،
في مقاطعة مائية بغير حدود.

Twitter: @ketab_n

المجانين

يقولون إنك يمكن أن تنحس قصيدة
إذا ما تكلمت عنها قبل اكتمالها.
يحذّرون من أنك إذا أخرجتها قبل الأوان،
فستفرّ قصيدتك مبتعدة،
وفي هذا هم محقّون تماماً.

أتذكرين مثلاً تلك الليلة التي قلت لك فيها
إنني أرغب في كتابة قصيدة عن المجانين،
مثلما تسمّيهم الصحف بكل خفّة،
أولئك الذين يهاجمون الفن، لا بالمقالات
إنما بالمطارق وسكاكين المطبخ
في متاحف براغ وأمستردام الهادئة.

Twitter: @ketab_n

قلت لي، وأنت تحركين مكعبات الثلج في كأسك:
في الواقع إنهم الفنانون الحقيقيون
بفارق أنهم يستعملون مفكّ البراغي بدلاً من الفرشاة.
ثم تابعت وأنت تتأملينني بهدوء من فوق إلى تحت:
أما المخرّبون الحقيقيون فهم مرمّمو اللوحات،
أولئك الذين يلبسون أردية بيضاء كالأطباء
الذين يخيطون جرحاً في منظر طبيعي
وبالتالي يخرّبون الفن الحقيقي للمجنون.

عندئذ رأيت قصيدتي تحلق إلى باب الحانة
وتنتظر هناك
حتى دخل الزبون التالي. . . .
ثم رأيتها تطير من الباب المفتوح إلى الليل
وتبحر مبتعدة، مثلما تخيلتها، بين مباني المدينة المعتمة.

Twitter: @ketab_n

كل ما تمنيت قوله
هو أن حياة الفن قصيرة أيضاً،
مثلما تُعلّمنا شفرة بضربة أو اثنتين،
أنها تبدو طويلة فحسب حين نقارنها بالحياة الحقيقية،
لكن في تلك الليلة
اتجهت بسيارتي وحيداً إلى البيت
دونما شيء يتأرجح في قفص قلبي
ما عدا ذلك الأمل الضئيل بأنني
قد ألمح القصيدة في مصابيح سيارتي،
ربما أجدها جاثمة على إشارة طريق أو عامود إنارة،
العصفورة المسكينة التي لم تُكتب،
تطوي جناحيها
وتحملق بي بعينين صغيرتين لمّاعتين.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

من «تسعة جياد» (٢٠٠٢)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كائنات

رآها هاملت على هيئات غيوم
لكنني رأيتها في أثاث الطفولة
كائنات عالقة تحت الأسطح الخشبية،

كائن غارق حتى نصفه في خوان صقيل،
آخر ينظر عابساً من ظهر كرسي،
ثالث يعوي من مكتب أمي الصامت،
المقفل في سطح القيقب المحبّب،
المتجلّد في البلوط.

Twitter: @ketab_n

أرى هذه الكائنات أيضاً
في ثنايا ورق الجدران
أو في الأخضر الكثير على مصباح من البورسلان،
كل واحد منها ينظر بسوداوية بالغة، بلعنة تامة،
بعضها يحملق بي
كأنه يعرف جميع أسرار الصبي الكتوم.

في أحيان كثيرة، غارقاً في أحلام اليقظة
على السجادة، يظهر أحدها بجانبي،
الحجم بالغ الضخامة، النظرة الفارغة.

لذا ستتفهّمين ردة فعلي
حين كنا صباح اليوم على الشاطئ
وفتحت يدك لكي تريننني حجراً
التقطته تواً عن الرمل.

Twitter: @ketab_n

«أترى الوجه؟»، سألتني،
بينما تغمر المياه الباردة كواحل أقدامنا،
«هاك العين وخط الفم،
كأنه مكشّر، كأنه يتألم».

قلتُ: «حسناً، ربما كان السبب هذا الخط
الممتد على طول جبهته
دون ذكر ما يشبه المنقار الملتوي»،

ثم أخذت منك الحجر ورميته
فوق الأمواج الزرقاء المتلألئة،
بحيث يستأنف وجوده المسخيّ
في أعماق البحر القاتمة
ويكف عن إزعاج أمثالنا من مرتادي الشاطئ البريئين،
وعن تخريب صيف الجميع.

Twitter: @ketab_n

دراسة بالبرتقالي والأبيض

أعرف أن «جايمس ويسلر»[1] كان جزءاً من المشهد الباريسي
ومع ذلك فوجئتُ حين وجدت لوحته
التي يصور فيها والدته في «متحف دورساي»
بين النقاط الملونة وضربات الريشة المتمازجة
للانطباعيين الفرنسيين.

وفوجئتُ إذ لاحظت
بعد بضع دقائق من التحديق في اللوحة
أن المرأة ذات الملامح القاسية في صورة جانبية

---

(١) جايمس ويسلر (١٨٣٤-١٩٠٣): فنان تشكيلي أمريكي كان مقيماً في بريطانيا، من أشهر لوحاته «ترتيب بالرمادي والأسود: أم الفنان» التي تعرف باسم لوحة «أم ويسلر».

Twitter: @ketab_n

الثابتة إلى الأبد على كرسيها،
تشبه أمي التي تقيم الآن في النجوم،
في الهواء، وفي الأرض.

تستطيع أن تفهم لماذا عنونَ لوحته
«ترتيب بالرمادي والأسود»
بدلاً من العنوان الذي يطلقه الجميع عليها بطبيعة الحال،
لكن بعد ذلك، وأنا أمشي على ضفة النهر،
تخيلت أن هذا قد يكون حطّم قلب المرأة
التي أنزلت من رتبة الأم
إلى مجرد تأليف، إلى دراسة في انعدام اللون.

وبينما يجلس عشاق الصيف متعانقين
على المراكب الطويلة الواسعة
المحتشدة بالنظّارة على طول «السين»
بين الجسور الحجرية المقوسة

Twitter: @ketab_n

وانعكاساتها المائية،
فكرت كم كان هذا سخيفاً وخارج السياق.

كان الأمر أشبه بأن يسمي «بوتشيلي» لوحة «ولادة فينوس»:
«تأليف بالأزرق والذهبي والأخضر والزهري»
أو العكس
أن يسمي «روثكو» شطائره اللونية:
«قوارب صيد تغادر ميناء فالموث فجراً».

أو، بينما أتأمل لائحة الطعام في المقهى
التي وصلت إليها،
يبدو الأمر مثل رسم شيء مضحك،
مثل رئيس طهاة يشوي شيئاً ما
أمام جمهور من البطّ
ويسمي هذا: «دراسة بالبرتقالي والأبيض».

Twitter: @ketab_n

لكن بحلول هذا الوقت ظهر النادل
مع كأس «البيرنود» وإبريق المياه الصافية
وجلست هناك غير مفكر بشيء
سوى الرجال والنسوة المارّين،
أمهات وأبناء ينزهون كلابهم الصغيرة الهشة،
وبنفسي:
نوعاً من التأليف بالأزرق والكاكي،
والآن، بعد أن سكبتُ بعض الماء في الكأس،
بالأخضر الحليبي أيضاً.

Twitter: @ketab_n

ابتهال

«أنت الخبز والسكين
كأس الكريستال والنبيذ. . .»

جاك كريكيون

أنت الخبز والسكين
كأس الكريستال والنبيذ
أنت الندى على عشب الصباح
وعجلة الشمس المشتعلة.
أنت مريلة الخبّاز البيضاء
وطيور المستنقع إذ تحلّق فجأة.

بيد أنك لست الريح في شجر الأوركيد،
ولا الخوخ على النضد،

Twitter: @ketab_n

ولا البيت الورقي.
ولستِ بالتأكيد الهواء الذي يضوع بالصنوبر.
بكل بساطة لا مجال لأن تكوني الهواء الضوّاع بالصنوبر.

يحتمل أن تكوني سمكة تحت الجسر
وحتى حمامة على رأس الجنرال،
لكنك لست قريبة حتى
من أن تكوني حقل ذرة عند الغسق.

ونظرة سريعة إلى المرآة ستظهر
أنك لست حذاء في الزاوية
ولا قارباً نائماً في بيت القارب.

قد يهمّك أن تعرفي
بالحديث عن مخيلة الكون الوافرة،
أنني صوت المطر على السقف.

Twitter: @ketab_n

وأنني الشهب أيضاً،
صحيفة المساء التي تطير في الزقاق
وسلة الكستناء على نضد المطبخ.

وأنا أيضاً القمر على الأشجار
وكوب شاي المرأة العمياء
لكن لا تقلقي، لست الخبز والسكين.
ما زلتِ أنت الخبز والسكين.
ستكونين دوماً الخبز والسكين،
من دون أن ننسى الكأس،
وكذلك النبيذ.

Twitter: @ketab_n

اليوم الوحيد في الوجود

الشمس المبكرة شديدة الشحوب والظلال،
لكأنني أنظر إلى شبح يرتسم على النافذة،
روح طويلة مستطيلة
تحدجني في السرير،
وتوشك على مطالبتي
بالانتقام لمقتل أبي.
لكن نور الصباح ليس إلا السطر الأول
في مسرحية اليوم،
اليوم الوحيد في الوجود،
النغمة الافتتاحية في أغنيته الطويلة،
أو أفكّر بما يتغلغل
من ستائر مخدعي الرفيعة،
كبداية محاضرة سأستمع إليها حتى حلول العتمة،

Twitter: @ketab_n

تلميذ غريب يلبس كنزة لها قبة على شكل ٧،
منزوياً على كرسي حياته الخشبي،
جاهزاً مع دفتر الملاحظات وقلم مبري،
هادئاً كسمكة ذهبية في الشتاء،
جاداً كبوصلة في البحر،
تواقاً لاستيعاب أيّ درس
سيعلمني إياه في هذا الثلاثاء
القاتم الملبّد بالغيوم،
هنا في غرفة الصفّ الفسيحة
التي هي العالم
بجدرانه الزجاجية الطويلة
وسقفه الثقيل الواطئ.

Twitter: @ketab_n

لا وقت

في عجالة صبيحة أحد أيام الأسبوع
أقرع بوق السيارة
بينما أمرّ مسرعاً بمحاذاة المقبرة
حيث يضطجع والدي ووالدتي
جنباً إلى جنب تحت بلاطة من الغرانيت.

ثم طوال اليوم أتخيله ينهض
لكي يرمقني بتلك النظرة
المفعمة بالرفض العميق
بينما أمي
تأمره بهدوء
بالعودة إلى النوم.

Twitter: @ketab_n

عند بركة سباحة خارج «سيراكوزا»[1]

كابدتُ طوال فترة بعد الظهر
لكي أتواصل بالإيطالية
مع روبرتو وجوزيبي اللذين بدآ
يشبهان الرجلين
في كتاب «الإيطالية للمبتدئين»
اللذين دائماً يتسوقان
أو يستفسران عن مواعيد القطارات
والآن أكاد أنسى التكلم أو الكتابة بالإنجليزية.

أدليت بتصاريح مهمة
في هذا الوادي الكلسي النائي

---

(١) سيراكوزا: مدينة تاريخية تقع في جنوب إيطاليا.

Twitter: @ketab_n

الذي يخترقه نهر هزيل،
قائلاً إن اليوم أكثر قيظاً
من الأمس
وإن السباحة مفيدة لك،
بل يمكنك القول مفيدة جداً،
كما أنني طرحت أسئلة حماسية
عن ساعات المتحف الأركيولوجي
وموقع المقبرة المحلية.

لكنني وحيد الآن في ضوء المساء
الذي يكسو التلال البيضاء،
وقد تناولت القليل من «الجين» مع الثلج
الذي نعّم مزاجي أو...
كيف نقول هذا بالإنجليزية
سمح لأفكاري بأن تجتاز دماغي
برقة أكبر إذا جاز لنا القول،

Twitter: @ketab_n

أو، لنقل هذا بطريقة أقل مباشرة،
هذا الشراب مدد الإذن لدماغي
لكي يشعر - ما هي الكلمة؟ -
بالصداقة مع السماء الواسعة
التي هي - أعطني لحظة - بالغة الزرقة
لكن مع شحوب أكبر بكثير
في هذا الوقت الخاص من اليوم،
أو كما نقول في أمريكا: الآن.

Twitter: @ketab_n

اختراع

القمر بسكويتة رقيقة
تحلق قطعة منها
في الليل.

وبحسب الروزنامة
بعد أسبوع أو نحوه
سيبدو على الأرجح
كرة قدم فضية،

وقبل تسعة أو عشرة أيام
كان يشبه مخلباً رفيعاً لمّاعاً.

Twitter: @ketab_n

لكنه سيتحوّل تدريجياً
بنهاية الشهر على ما أظن
إلى لاشيء،
لا شيء سوى نجوم في السماء

وستكون أمامي بضع ليال
أخصّصها لنفسي
بعض الوقت لأريح قلمي المجنون.

Twitter: @ketab_n

ولا الثلج

حين فجأة امتلأ هواء المدينة بالثلج،
بدت شرائحه الرقيقة
التي تهبّ هنا وهناك
مثل أسراب من القريدس
تندفع أمام حوت ضخم.

على الأقل هكذا بدت لي
من نافذة سيارة الأجرة،
وبما أنني كنت جالساً
في عصرية الأحد المعتمة تلك
في قلب مركز الكون،
فمن في وضع أفضل مني
ليقرّر ماذا يشبه ماذا؟

Twitter: @ketab_n

أجل كانت رتلاً فوسفورياً من العوالق البحرية
يحلق في «جادة الأمريكان»
في مجرى الريح
على خلفية المباني الثقيلة
التي جعلت سيارة الأجرة نفسها
صفراء وبطيئة الحركة
أشبه بكائن مائي،
فكّرت، وأنا أمسح الضباب عن النافذة،

وأنا أحد عيونه،
عين على جذع تدور هنا وهناك
مراقبة جانباً من عالمه،
وأطنان المياه
وأطنان البشر
إشارات وأضواء ملونة
والآن حشد عاصف من الثلج.

Twitter: @ketab_n

الكراسي التي لا يجلس عليها أحد

تراها على الشرفات أو المروج
بجوار البحيرة
وتكون عادة ثنائية موحية بوجود شخصين.

شخصان يمكن أن يجلسا ويتأملا
المياه أو الأشجار الوارفة الضخمة.
المشكلة أنك لا ترى أحداً قطّ
على هذه الكراسي المنسية
مع أنه ذات حين لا بدّ من أنه بدا
مكاناً جيداً للتوقف
وعدم فعل شيء على الإطلاق.

Twitter: @ketab_n

أحياناً ترى بين الكرسيين طاولة صغيرة
لم يضع عليها أحد كأساً
أو كتاباً مقلوباً على وجهه.

ربما لا يخصّني الأمر،
لكن قد تكون فكرة جيدة ذات يوم
لكل الذين وضعوا تلك الكراسي الشاغرة
على شرفة أو على رصيف
أن يجلسوا عليها
كرمى لتذكر
أياً كان ما حسبوا
أنه يستحق المشاهدة من كرسيين
تفصل بينهما طاولة.

في يوم كهذا تكون الغيوم عالية وكثيفة.
ترفع المرأة رأسها عن الكتاب.

Twitter: @ketab_n

يرتشف الرجل من شرابه.
ثم ليس من صوت سوى صوت نظراتهما،
تدفق مياه البحيرة، وشدو طائر واحد
ثم آخر، شدو فرح أو إنذار؛
وتزجية الوقت بانتظار معرفة أيّ الاحتمالين.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

من «بالستيّات» (٢٠٠٨)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كوكبُ الأقمار الأربعة

«أشعرُ بالحسد تجاه كوكب الأقمار الأربعة»

روبرت فروست

ربما كان يفكّر بهذه الأغنية
«يا لما يفعله القليل جداً من شعاع القمر؟»
وتساءل عندئذ
ما الذي إذن يقدر على فعله الكثير من هذا الشعاع.

لكن ألن يكون هذا إفراط في الروعة؟
وماذا لو لم تستطع تمييز هذه الأقمار عن بعضها
بما أنها تشرق معاً كأربعة توائم
وتتسلّل شاحبة إلى غرفة الجلوس؟

Twitter: @ketab_n

أجل، سيكون هناك ما يكفي من الضوء
لقراءة كتاب أو خطّ رسالة عند منتصف الليل،
وإذا ما احتسيتَ ما يكفي من «التكيلا»
فقد ترى ثمانية أقمار تطوف السماء فوقك.

لكن تخيّل عاشقين على الشاطئ
ذراعه تحيط كتفها العاري،
ويشعران بسعادة غامرة لشدّة قربهما هذا المساء
بينما هو ينظر إلى قمر وهي إلى قمر آخر.

Twitter: @ketab_n

المستقبل

حين أصل أخيراً إلى هناك -
وسيستغرق ذلك أياماً وليال -
أحبّ أن أعتقد أنه سيكون من هم في انتظاري
من قد يرغبون حتى في سماع قصتي.

هكذا سأبدأ بسرد ذكرياتي عن سماء معيّنة
أو عن امرأة ما بثوب حمام
أو عن المرة التي زرت فيها مضيقاً
شهد وقائع معركة بحرية شهيرة.

ثم سأبسط على طاولة
خريطة كبيرة لعالمي
وأشرح لأهلِ المستقبل بثيابهم الباهتة
كيف كانت الحياة هناك -

Twitter: @ketab_n

كيف أن الجبال ترتفع بين الوديان
وأن هذا يُسمّى جغرافيا،
وكيف تعبر القوارب المحملة بالبضائع الأنهار
وأن هذا يسمّى تجارة،

كيف أن أهل هذه المنطقة الحمراء
عبروا إلى تلك المنطقة الخضراء
وأشعلوا النيران وقتلوا كلّ من وجدوه هناك،
وأن هذا يسمّى التاريخ،

وسوف يصغون إليّ بصمت تام
بينما ينضم المزيد منهم إلى الحلقة،
مثل فقاعات تتحلّق، لا تتشتّت،
حول حجر رُمي في بحيرة.

Twitter: @ketab_n

يا إلهي!

ليس في الكنائس فحسب
ولا ليلاً قرب الاسرّة
تصلّي الفتيات هذه الأيام.

أينما ذهبن،
تخترق الصلوات أحاديثهن
كخيط برّاق من الأسى.

حتى في المراكز التجارية المبتذلة
تنفجر الصلوات تلقائياً
من شفاههن اللمّاعة.

Twitter: @ketab_n

المتنفّس

تماماً كما في أفلام الرعب
حين يكتشف أحدهم أن مصدر الاتصالات الهاتفية
يأتي من داخل البيت

هكذا أدركت أيضاً
أن عناقنا الرقيق
كان يجري في داخلي فحسب.

كل تلك العذوبة، والحب والرغبة،
لم تكن إلا أنا أطلب رقم هاتفي الشخصي
ثم أتبع الرنين إلى الغرفة الأخرى

Twitter: @ketab_n

فلا أجد أحداً على الخط الآخر،
حسناً، أحياناً أسمع صوت تنفّس صغير
لكن ليس أكثر من ذلك.

حين أفكر أنه طوال هذا الوقت
الذي تضمّن النزهات بالقارب،
وعناقات المطارات، وكل الشراب...

لم يكن إلا أنا والهاتفان،
ذاك المعلّق على جدار المطبخ
وذاك الآخر في غرفة الضيوف المعتمة في الأعلى.

Twitter: @ketab_n

عجوزٌ وحيدٌ في مطعم صينيّ

كم أنني مسرور لأنني قاومتُ ذلك الإغراء،
إذا كان يمكنني تسميته كذلك في أيام الشباب،
أعني إغراء كتابة قصيدة عن رجل عجوز
يتناول الطعام وحيداً في ركن مطعم صينيّ.

كنت سأسيء فهم الأمر برمته، معتقداً:
هذا الوغد المسكين، ليس له صديق واحد في العالم
سوى هذا الكتاب. وعلى الأرجح سيدفع الحساب
بقطع العملة المعدنية.

Twitter: @ketab_n

كم أنني مسرور لأنني انتظرت كلّ هذه العقود
لكي أسجّل كم هو حارّ وحامض هذا الحساء الحار والحامض
بعد ظهر هذا اليوم في مطعم «تشانغ»
وكم باردة هذه الجعة الصينية في هذه الكأس المثلجة.

والكتاب الذي أقرأه - «العمى» لخوسيه ساراماغو -
يستحوذ عليّ بالكامل بحيث أنني لا أرفع رأسي
عن الرعب الهائل الذي فيه
إلا حين تذهلني إحدى عباراته الساحرة.

وعليّ أيضاً أن أذكر الضوء
الذي يسقط من الواجهة الكبيرة في هذا الوقت من النهار
مضخماً كلّ ما يلمسه -
الأطباق وأباريق الشاي، أغطية الطاولات النظيفة،

Twitter: @ketab_n

وأيضاً شعر النادلة البني الناعم
التي ترتدي كنزة خفيفة بيضاء وتنورة سوداء قصيرة،
وتبتسم لي وهي تحضر طبقاً من الأرز واللحم بالثوم
إلى طاولتي المفضّلة في الزاوية.

Twitter: @ketab_n

طلاق

في ما مضى كانا ملعقتين في السرير،
وها هما الآن شوكتان مستدقّتان

على طاولة من الغرانيت
مع سكّينين مستأجرين.

Twitter: @ketab_n

لو يونغ

كم هو حزين هذا الشاعر من سلالة «سونغ».
الريح تتنهّد حول الأشجار،
وثمة بجعة وحيدة تمرّ فوقه،
بينما هو وحيد على قارب صغير.

لو أنه فحسب يقدّر مثلي العيش في الصين
في القرن الحادي عشر -
حيث لا رسوم متحركة صاخبة على التلفاز،
ولا موسيقى تنبعث من عربة «الآيس كريم»،

حيث ليس إلا تغريد الطيور الجذلة
والتدفق الثابت لساعة الماء.

Twitter: @ketab_n

ما يفعله الحبّ

أمر رائع، أو هكذا يبدو في الصيف
عبر المذياع
عندما جميع الستائر مسدلة.

لكن سهامه لا تخترق القلب فحسب
بل مقلة العين وصلب الجسد
وجميع مواضع الرغبة.

يحوّل كل شيء رمزاً
مثل عاصفة تنفلت من عقالها
في الفصل الأخير من رواية طويلة.

Twitter: @ketab_n

وقد يضيف إلى الصباح بريقاً
أو يعمّق ليلاً
حين يكون السرير مسوّراً بحلقات النار.

يعلّمك مسرّات جديدة
ومناورات جديدة أيضاً -
الرضوخ، والتقهقر، والفرار.

لكنه غالباً يأتي ويذهب
مثل نحلة تنتقل من قلب زهرة
إلى قلب زهرة أخرى.

حتى حين يبدأ حبر اسمه بالجفاف،
تجده قد رحل
ليزور أحدهم في مدينة أخرى،

Twitter: @ketab_n

مدينة مع كنيستين،
وصفوف من المداخن القرميدية
ومدرسة اصطفت على مدخلها أشجار طويلة.

يسافر طوال الليل
ثم يصل إلى هناك كرئيس الملائكة
ويجتاز بوابة حديدية يبدو أن أحداً
لم يلاحظ وجودها من قبل.

Twitter: @ketab_n

كلبٌ يتكلّم عن صاحبه

رغم أنني أبدو فتياً
بيد أنني أتقدّم في السن أسرع منه،
يقال إن النسبة بيننا
هي واحد إلى سبعة.

أياً يكن الرقم
فسأتجاوزه ذات يوم
وأتقدّم الطريق
مثلما أفعل خلال نزهاتنا في الغابة.

Twitter: @ketab_n

وإذا ما كنت محظوظاً
وخطر الأمر على باله،
فسيكون هذا أجمل ظلّ
ألقيه على الثلج أو العشب.

Twitter: @ketab_n

السمكة

حالما وضعتها النادلة العجوز
على طبق أمامي
حتى بدأت هذه السمكة تحدّق بي
بعينها الوحيدة الملوّنة.

شعرت أنها تقول لي: أشعر بالأسى من أجلك
لأنك تجلس وحيداً في هذا المطعم الموحش
يغمرك مثل هذا الضوء البارد
وتحاصرك مثل هذه الجداريات الصقلية الرهيبة.

حسبتني أجيبها وأنا أرفع شوكتي:
أنا أيضاً أشفق على حالك،
وقد خُطفت من البحر وتمدّدت ميتة هنا في بتسبورغ
بجانب بعض البطاطا المسلوقة.

Twitter: @ketab_n

وهكذا فإن غذائي في هذه المدينة الغريبة
بأنهرها وجسورها المضاءة
لم يباركه فحسب النبيذ البارد وشرائح الليمون
بل أيضاً التعاطف والأسى

والذي استمرّ حتى بعد أن أخذت النادلة طبقي
واستمرّت السمكة تحدّق بي
وقد تعرّت عظامها الرقيقة تماماً،
إلا من كفن من البقدونس.

Twitter: @ketab_n

الرسول

فلتخرج أيها الكتاب الصغير
من هذا البيت إلى العالم،

فلتكُ عربة من الأوراق
تحملُ مسافراً واحداً إلى المدينة
بعيداً عن هذا القلم العصبيّ
وعن سطح المكتب والمصباح الصاخب.

هذا أوان الرحيل،
فارتد سترتك واخرج،
آن الأوان لكي يراك الآخرون،
وتحملك الأيدي الغريبة.

Twitter: @ketab_n

فامضِ إذن، يا طفل الدماغ،
مع تلويحة ونصيحة أبوية صغيرة:

ابق في الخارج قدر ما شئت،
ليس من داع لأن تخابرني أو تراسلني،
فقط تعرّف إلى أكبر عدد من الغرباء.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المحتويات

بيلي كولينز ٥

من «التفاحة التي أذهلت باريس» (١٩٨٨) ٩

مقدّمة للشعر ١١

بلاغة شتوية ١٣

أرق ١٦

عنواني ١٨

نقطة التلاشي ٢٠

عبور الأطلسي سيراً على الأقدام ٢٣

عناق ٢٤

الأزرق ٢٥

مدينة المدارس ٢٧

قيادة السيارات مع الحيوانات ٣٠

سبب آخر لعدم احتفاظي ببندقية في البيت ٣٣

الدرس ٣٥

Twitter: @ketab_n

من «فن الغرق» (١٩٩٥) ٣٧
الحلم الأول ٣٩
لوحة ٤١
تحوّل ٤٣
مؤاساة ٤٥
الأيام ٤٨
حول بلوغ العاشرة ٥٠
رسم ٥٣
ناد ليلي ٥٥
فن الغرق ٥٨
أسألك ٦١
عزيزي القارئ ٦٤
صمت ٦٧
العبقري ٦٩
السيجارة الأروع ٧١
قاموس المترادفات ٧٤
على فراش الموت ٧٧
ظلّ ٨١
رجل في الفضاء ٨٣

Twitter: @ketab_n

من «نزهة، صاعقة» (١٩٩٨) ٨٥
موت القبعة ٨٧
صيد السمك في نهر «ساسكويهانا» في يوليو ٩١
صباح ٩٥
تجريف الثلج مع بوذا ٩٧
اليابان ١٠١
حياتي ١٠٤
إلى غريب سيولد في بلد بعيد بعد مئات السنين ١٠٧
في بعض الأيام ١٠٩

من «الإبحار وحيداً حول الغرفة» (٢٠٠١) ١١١
نسيان ١١٣
شراك الليل ١١٦
القبعة الشمعة ١١٩
قارئاً أنطولوجيا الشعر الصيني خلال «سلالة سونغ» أتوقف
لأتأمل معجباً بطول عناوين القصائد ووضوحها ١٢٢
يوم مثلج ١٢٥
النادلة ١٢٨
الأفلام ١٣١
غيرة ١٣٤

Twitter: @ketab_n

المجلّدات ١٣٧
رجل يستمع إلى أسطوانة ١٤٠
الجسر الحديدي ١٤٤
المجانين ١٤٧

من «تسعة جياد» (٢٠٠٢) ١٥١
كائنات ١٥٣
دراسة بالبرتقالي والأبيض ١٥٦
ابتهال ١٦٠
اليوم الوحيد في الوجود ١٦٣
لا وقت ١٦٥
عند بركة سباحة خارج «سيراكوزا» ١٦٦
اختراع ١٦٩
ولا الثلج ١٧١
الكراسي التي لا يجلس عليها أحد ١٧٣

من «بالستيات» (٢٠٠٨) ١٧٧
كوكبُ الأقمار الأربعة ١٧٩
المستقبل ١٨١
يا إلهي! ١٨٣
المتنفّس ١٨٤

Twitter: @ketab_n

عجوزٌ وحيدٌ في مطعم صينيّ ١٨٦
طلاق ١٨٩
لو يونغ ١٩٠
ما يفعله الحبّ ١٩١
كلبٌ يتكلّم عن صاحبه ١٩٤
السمكة ١٩٦
الرسول ١٩٨

Twitter: @ketab_n

لمحة عن المؤلف

ولد كولينز عام ١٩٤١ في نيويورك. مارس تدريس الأدب الإنجليزي في كلية «ليمان» في البرونكس، حيث بدأ ينشر شعره من نهاية السبعينات تقريباً في مطابع جامعية، وقد ظلّ يعتبر شاعراً في الظلّ حتى ما بعد بلوغه الخمسينات، حين بدأت دور نشر كبرى مثل «راندوم هاوس» بنشر أعماله. وهو الشاعر الأمريكي الوحيد الذي حصل مع دار نشر على صفقة تتجاوز المليون دولار. نشر كولينز سبع مجموعات شعرية حتى الآن هي: «باليستيكس» (٢٠٠٨)، «المشكلة مع الشعر وقصائد أخرى» (٢٠٠٧)، «التفاحة التي أذهلت باريس» (٢٠٠٦)، «فن الغرق» (٢٠٠٣)، «تسعة جياد» (٢٠٠٣)، «الإبحار وحيداً حول الغرفة» (٢٠٠١)، «نزهة، صاعقة» (١٩٩٨). كما ساهم في تحرير عدد كبير من المختارات الشعرية. بين عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٣ اختير لحمل لقب «شاعر أمريكا المتوّج» التي تعدّ تكريماً للشعراء المرموقين في أمريكا، والذين في الوقت عينه يتمتعون بالشعبية.

Twitter: @ketab_n

لمحة عن المترجم

وُلد **سامر أبو هواش** عام ١٩٧٢ بصيدا - لبنان. درس الإعلام والصحافة بالجامعة اللبنانية ١٩٩٦. كاتب وصحافي. له العديد من الأعمال الشعرية والترجمات الأدبية، منها: **الحياة تُطبع في نيويورك**، شعر، بيروت ١٩٩٦؛ **تحية الرجل المحترم**، شعر، بيروت ١٩٩٩؛ **تذكّر فالنتينا**، شعر، بيروت ٢٠٠١؛ **جورنال اللطائف المصوّرة**، بيروت ٢٠٠٣؛ **نُزل مضاء بيافطات بيض**، شعر، بيروت ٢٠٠٥؛ **عيد العشاق**، رواية، بيروت ٢٠٠٥؛ **السعادة**، رواية، بيروت ٢٠٠٧. من ترجماته: يان مارتل، **حياة باي**، رواية، ٢٠٠٦؛ جاك كيرواك، **على الطريق**، رواية، ٢٠٠٧؛ حنيف قريشي، **بوذا الضواحي**، رواية، ٢٠٠٧.

Twitter: @ketab_n

هذا الكتاب

كنت أحسبها مجرّد نقطة يخطّها بقلم الرصاص
تلاميذ الرسم في وسط اللوحة
قبل شروعهم في رسم الحظيرة والأبقار وأكوام القشّ،

أو مجرد نقطة تقاطع السكك الحديدية،
ذلك الموضع الذي يحدّق فيه المهندسون الميكانيكيون
من القاطرات
بينما يمضون هادرين في القفار الحارّة
خارجين من الأبعاد.

@ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA

ISBN 978-3-89930-340-7
9 783899 303407